اعتراض على التقوى ص - ٣٠

وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

للدعوة إلى الله

التقوى

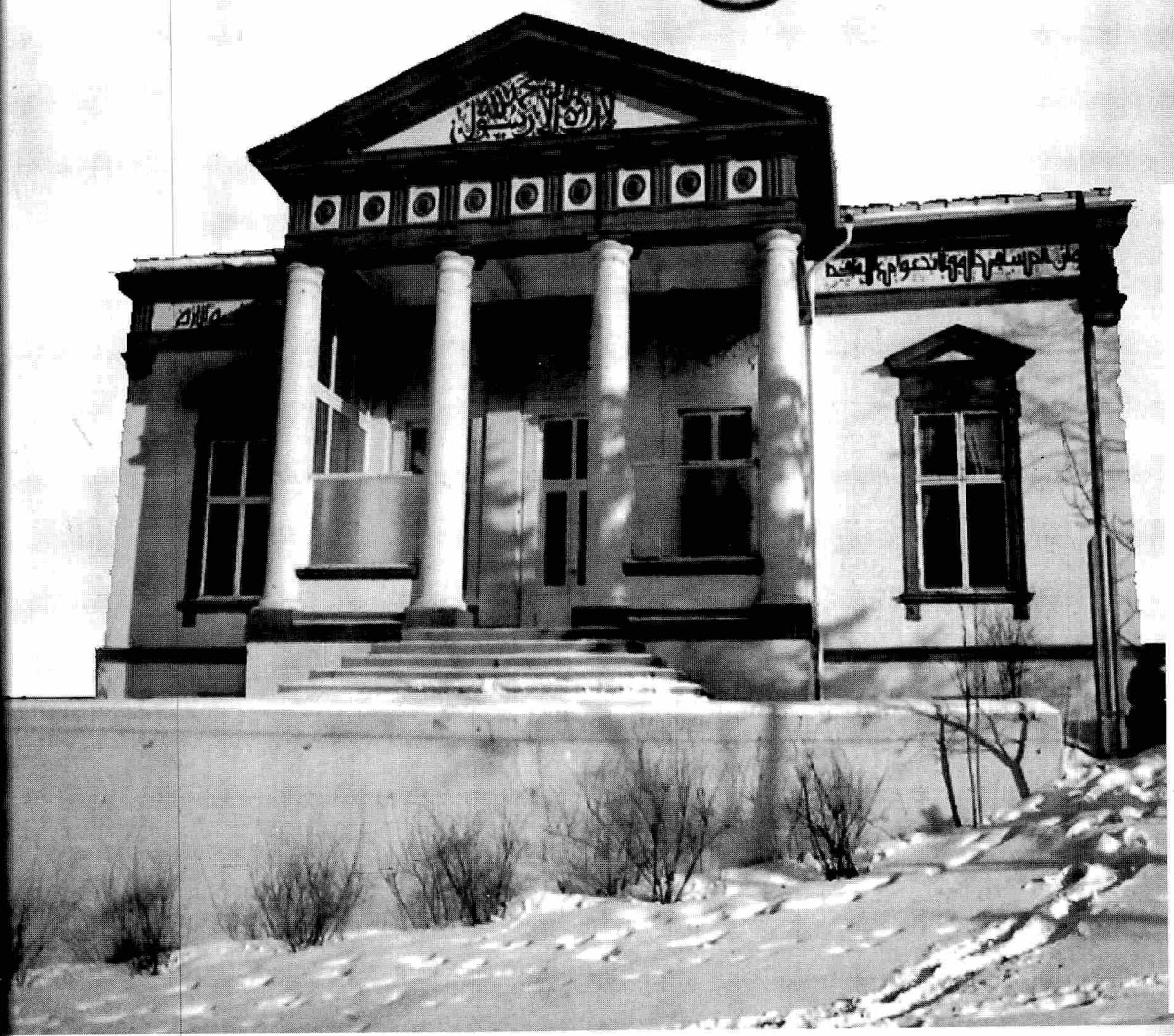

المجلد العاشر - العدد الرابع، ربيع الأول والثاني ١٤١٨ هـ - أغسطس (آب) ١٩٩٧ م

مَنْ هي الأمة الوسطى؟ وكيف تكون خير أمة أخرجت للناس؟

من هو المثال لنور الله؟ المشكاة والمصباح والزجاجة الشجر والشجرة والزيت

تفسير سورة الفاتحة التحدى الذى مازال قائما حتى اليوم !!

بسم الله الرحمن الرحيم

ملامح الجماعة الإسلامية الأحمدية في سطور

كل من يقرأ اسم الجماعة الإسلامية الأحمدية قد يتبادر إلى ذهنه أنها جماعة أصولية حركية كباقي الجماعات الأصولية المسلمة، أو أنها جماعة من جماعات الإسلام السياسي التي تبغي الوصول إلى مقاعد الحكم والسُلطة. إن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي الجماعة التي أسسها عام ١٨٨٩ سيدنا ميرزا غلام أحمد الذي أعلن أن الله تعالى قد بعثه إماما مهديا ومسيحا موعودا طبقا للنبوءات التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. وقد أسس هذه الجماعة المباركة بأمر من الله تعالى حتى تحمل لواء الإسلام الصحيح وتنشر أنواره في العالم أجمع. وقد اختارت الجماعة أن تتسمى بهذا الاسم نسبة إلى اسم أحمد وهو اسم رسول الله ﷺ الذي ذكره سيدنا عيسى عليه السلام في سورة الصف.

وقد لاحظ حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية الأمراض العديدة التي وقع المسلمون فيها نتيجة تسرب الكثير من الإسرائيليات والمفاهيم الخاطئة إلى العقائد الإسلامية.. مما ساعد على زيادة الاختلافات والفُرقة والشتات بينهم، كما أن قلبه كان يعتصر من الألم بسبب ضياع التوحيد بين قطاع كبير من البشر الذين جعلوا الإنسان العاجز إلها، أو اتخذوا مع الله آلهة أخرى، أو أنكروا وجود الله ومالوا إلى الإلحاد. ولذلك فقد أمره الله تعالى أن يكسر صليب الشرك والكفر، ويقتلع جذور الإلحاد، ويزيل عوامل الفرقة والاختلاف بين الناس، وذلك بأن يُقدم لهم الإسلام الصحيح الذي أتى به سيد الخلق ﷺ، فيملأ عقولهم من حِكَمه ومعارفه، وينير قلوبهم بأنواره وهداياته، ويضيئ أفئدتهم بحسنه وجماله، ويجمع الجميع تحت لواء واحد هو لواء الإسلام، ويرفع عاليا راية واحدة هي راية: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

ومن أجل ذلك قضى مؤسس الجماعة كل حياته مجاهدا من أجل تحقيق هذه الأغراض، فكتب أكثر من ثمانين كتابا دفاعا عن الإسلام، وأثبت بطلان العقائد التي ورثها أهل الأديان الأخرى عن الآباء والأجداد، وأنشأ هذه الجماعة لتحمل اللواء من بعده، وأقام أفرادها على البر والتقوى، ورباها على ما ربى رسول الله ﷺ صحابته الكرام من مكارم الأخلاق.

وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٠٨ حقق الله تعالى ما وعد به رسول الله ﷺ من عودة الخلافة الراشدة في الأمة الإسلامية، فكان مولانا نور الدين هو خليفته الأول، تبعه الخليفة الثاني حضرة بشير الدين محمود أحمد، وهو الذي تلقى عنه بشرى من الله تعالى بأنه سيكون مصلحا موعودا، ثم تلاه الخليفة الثالث حضرة ناصر أحمد، ونحن الآن في العهد المبارك لخليفته الرابع حضرة ميرزا طاهر أحمد.

وها أنت أيها القارئ الكريم تتصفح اليوم إحدى المطبوعات العربية لهذه الجماعة المباركة التى أسسها سيدنا الإمام المهدي بأمر من الله لنشر الإسلام الصحيح .. إسلام خاتم النبيين وسيد الخلق أجمعين محمد المصطفى ﷺ

تلك هي.. باختصار شديد.. ملامح الجماعة الإسلامية الأحمدية.

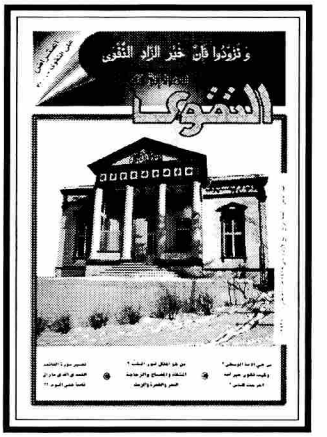

مسجد النور، أوسلو - النرويج

أحد مساجد الجماعة الإسلامية الأحمدية .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

التقوى

للدعوة إلى الله

إسلامية شهرية

التقوى إحدى مطبوعات
الشركة الإسلامية الدولية
للنشر والتوزيع

في هذا العدد

كلمة التقوى	٢-٣
كيف نكون خير أمة أخرجت للناس	٤-١٠
الأسوة الحسنة	١١
من كلام الإمام المهدي	١٢-١٣
الله نور السماوات والأرض	١٤-٢٣
معجزة علوم القرآن	٢٤-٣٩
التقوى منكم وإليكم	٣٠-٣٧
صيد الإنترنت	٣٨
وثيقة البيعة	٣٩-٤٠

المجلد العاشر - العدد الرابع، ربيع الأول والثاني ١٤١٨ هـ - أغسطس (آب) ١٩٩٧ م

رئيس التحرير
أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير
عبد المؤمن طاهر
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر
عبد المجيد عامر

الإدارة
مظفر أحمد

الطباعة
موسى شيبوب

مجلة إسلامية شهرية للدعوة إلى الله تصدر عن المكتب العربي في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.
جميع الاتصالات والمراسلات المتعلقة بالتحرير والاشتراكات تُوجه إلى العنوان التالي:

The Editor AL Taqwa P.O. Box 12926, London SW18 4AJ, United Kingdom
Fax: 0044 181 8750249 - E-Mail: emaan@dircon.co.uk

© جميع حقوق الطبع محفوظة للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

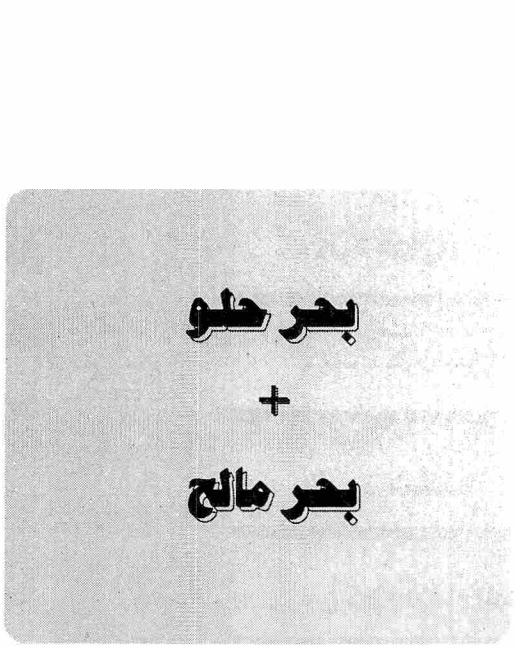

إن من مميزات معالم هذا العصر الذي نحياه هو التمازج الذي تعيشه المجتمعات الإنسانية، وذلك بسبب العديد من العوامل أهمها وسائل الاتصالات التي تطورت بشكل متسارع أذهل الجميع.

إن هناك تمازجًا بين الشرق والغرب، واختلاطًا بين القيم الإنسانية التي كانت تميز مجتمع إنساني ما عن غيره. ولكن هذا التمازج.. وللأسف.. جعل السيادة للقيم الفاسدة بأن تكون هي السمة العامة لتلك المجتمعات. وقد أشار حضرة ميرزا طاهر أحمد.. الخليفة الرابع لحضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام) في إحدى خطبه.. إلى أن القرآن الكريم كان قد أشار إلى هذه الظاهرة في سورة الرحمن حيث ذكر أن البحرين سيلتقيان ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، وأشير في موضع آخر إلى أن: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ (الفرقان) أي أن طعم أحدهما هو عذب حلو، وطعم الآخر مالح لاذع مر.

وأشار حضرته إلى أن تحقق هذه النبوءة قد تم، ولكن ليس فقط بين بحرين أحدهما مالح وآخر عذب، فقد انتقل حضرته بتفسير هذه الآيات إلى المعنى المجازي الروحاني، ففسر حضرته امتزاج البحرين باختلاط البحر الديني الشرقي (أي الديانات التي تنتمي إلى بلاد الشرق) مع البحر الغربي (أي ديانات الغرب) مما يعني أن يصب كل منهما مساوئه في بحر الآخر أو أن تنتقل حسنات أحدهما إلى الآخر.

واليوم نحن نلمس ذلك بأنفسنا بسبب التقارب الكبير الذي يعيشه أتباع الديانات المختلفة، حيث نلاحظ أن فلسفاتهم الفكرية لم يعد لها علاقة بنمط حياتهم اليومية. فكما نجد في البحر كل صنوف الكائنات.. إذ نجد فيه حيوانات جيدة مفيدة وأخرى ضارة شريرة، دون وجود حوائل تفضل بعضها عن بعض... كذلك نجد أن الفوارق بين الخير والشر تكاد أن تنعدم في عالم اليوم أيضا ... أي بين الحلو والمالح، حتى صار من العسير أن ننسب الخير لمجموعة من الناس، ونعزو الشر إلى مجموعة أخرى. وقد وجه حضرته الأنظار إلى أن هذه الحالة ستعطي المسلمين طاقة تجديدية تقود إلى انتصارهم. ولكن هناك أسس نبه إليها حضرته كي يتسنى للمسلمين إتباعها لتحقيق ذلك.

أول تلك الأسس أن لا نكون كأولئك المتعصبين الدينيين الذين يزعمون بأنهم أهل الحق وغيرهم محروم منه، بل ينبغي أن نقدس الحق وأن نتمسك به كي نملك القدرة على رؤيته رؤية صحيحة، وإن أفضل السُّبل لذلك هو أن نتعلم مما حولنا. وضرب لنا مثال الطبقات الجوية التي هي بمثابة الصمامات.. تسمح بمرور اشعاعات معينة وتمنع غيرها من الوصول إلى جو الأرض، وإنّ تشبُّهنا بتلك الصمامات سيجعلنا نسمح لأشعة الحق وقدسيتها بأن تمر من خلالنا كي تصل إلى الآخرين.

وثاني تلك الأسس أن نكون نحن ذلك الطرف المؤثر..

"

وإن تشبهنا بتلك الصمامات سيجعلنا نسمح لأشعة الحق وقدسيتها بأن تمر من خلالنا كي تصل إلى الآخرين.

"

"

إنها الطاقة التجديدية ما نحتاجه اليوم لنكشف للعالم النقاب عن وجه الإسلام الحقيقي، الذي وعد رب العزة أن يكون هو العقيدة الصالحة لكل زمان ومكان، إن أخلص العبادة حمل الأمانة وأداء الواجب.

"

تماماً كما يحدث في مثال آخر يمكن أن نتعلم منه، وهو الخاصية الأزموزية (OSMOSIS) وهي خاصية طبيعية تعمل في سكون على حماية واستمرارية الحياة، وتنشأ القوة الأزموزية عندما يلتقي سائلان، فيتأثر السائل الذي يحتوي على تركيز ملحي مرتفع بالسائل ذي التركيز الملحي الأقل. فالماء وهو المذيب ينتقل من المحلول المخفف إلى المحلول المركز. فمثلاً إذا غرسنا في الأرض نباتاً فأرسل جذوره في التربة بحثاً عن السائل الذي يحتوي على غذائه، فإذا كان محتوى خلايا النبات مخففاً، ومحتوى ماء التربة مركزاً فإن الماء ينتقل من المحلول المخفف إلى المحلول المركز.. أي من النبات إلى التربة، وبذلك يفقد النبات عصارته ويذبل وسرعان ما يجف ويموت.

ونحن نجد أن القرآن الكريم وصف الإسلام بالماء العذب فهو لا يقبل تأثيراً من خارجه وإنما هو الذي يؤثر في غيره. ولو طبقنا تلك الخاصية الأزموزية على العالم الروحاني.. يمكننا أن نقول أن الماء الروحاني الخارجي هو ضروري لحماية النفس من الداخل، وإذا لم يدخلها ذلك الماء الروحاني من الخارج لمات الفرد. وإذا كان من المقدّر للبحر المالح أن يختلط مع البحر العذب، فلا بد للإسلام أن يخترق البحر المالح، وإلا لن يكون هناك فرصة للحياة أن تستمر فيه، وتكون النهاية الموت والهلاك.

ومما يعنيه حضرته أن ننفذ إلى داخل من يعيش حولنا، وذلك من خلال أخلاقيات ومزاج رفيع، حتى نملك قوة التأثير والتغيير، وأن نكون المثال الحي لكل ما هو مثالي، تماماً كما كان سيدنا محمد ﷺ الأسوة الحسنة في مجتمعه.

وثالث تلك الأسس أن نحاول الأخذ ممن حولنا ولكن بشكل انتقائي. إن علينا أولاً أن نحسن الاختيار.. ننتقي الأفضل، ثم نؤسلم هذا الأفضل، أي نجعله إسلامياً ونصيغه طبقاً للمفهوم الإسلامي، ثم بعد ذلك نتخذه منهجاً.

توجد حولنا كثير من الخصال الحسنة، التي يمكن أن تكون مصدر طاقة لنا، يمكننا أن نصيغها بصبغة إسلامية ونعمل عليها، وأن نجتهد أيضاً لكي نعطي الآخرين ما لدينا من صفات طيبة.

إن الحكمة يجب أن تكون ضالتنا كما يقول المبدأ الإسلامي: الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها كان أحق الناس بها.

هذه هي الأسس الثلاثة التي يمكن أن تقود إسلام اليوم كي يكون قادراً على اختراق البحر المالح، والتأثير في عناصره، وجذب الصالح منها إلى عالمه الروحاني العذب. إنها الطاقة التجديدية ما نحتاجه اليوم لنكشف للعالم النقاب عن وجه الإسلام الحقيقي، الذي وعد رب العزة أن يكون هو العقيدة الصالحة لكل زمان ومكان، وإن أخلص العبادة حمل الأمانة وأداء الواجب.

كيف نكون خير أمة أخرجت للناس

من دروس

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رضي الله عنه
الخليفة الثاني لحضرة الإمام المهدي
والمسيح الموعود عليه السلام

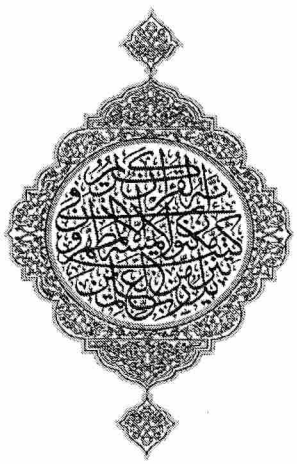

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٤)

شـــرح الكلمـــــات:

أمة وسطا ـ الشيء الوسط هو الذي يكون على حد الاعتدال وهو الأفضل، وكذلك القادة الكبار يكونون في وسط الجيش تحيط بهم الكتائب، وذلك لأن الشيء الأفضل والأغلى يحافَظ عليه. ومن هنا تكون كلمة الوسط بمعنى الأعلى والأفضل. والوسيط هو أشرف القوم. ولما لم تكن الأمة المحمدية بين الأمم زمناً،ولم تكن أدنى منها تعليما وشرعا، بل قال الله عنها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١).. أي أنكم خير الأمم التي خُلقت لفائدة الناس، لذلك يكون معنى "الوسط" الأعلى والأكمل.

شهداء ـ الشهيد: الشاهد؛ الأمين في الشهادة؛ القتيل في سبيل الله؛ العالم الذي لا يغيب عن علمه شيء. ومن معاني شهد: عايَن (الأقرب).

كُنْتَ ـ "كان" تأتي بمعنى "وُجد"؛ وبمعنى "صار"، ومن هنا تعني الآية: لم نعيِّن القبلة التي كنت عليها من قبل، أو التي تحولتَ إليها الآن وتَثَبَّتَّ عليها. فكأن أحد المعنيين يشير إلى القبلة التي كانت قبل التحويل، والمعنى الثاني يشير إلى القبلة التي كانت بعد التحويل.

لنعلَم ـ عَلم: أدرك وعرف. ومن أساليب اللغة العربية وضع السبب مكان المسبِّب أحيانا؛ أي يضعون الشيء الذي هو سبب لشيء آخر في مكان النتيجة، وأحيانا أخرى يعكسون أيضا. وهنا جاء السبب مكان المسبب، لأن نتيجة العلم هو التمييز ومعرفة الشيء هل هو خير أم شر. ولما كان التمييز ينتج من العلم لذلك وضعوا العلم مكان التمييز؛ وذلك أيضا لبيان أن التمييز لا يقع إلا بالعلم (البحر المحيط، تحت هذه الآية). وهناك أمثلة كثيرة لهذا الاستخدام في القرآن الكريم وكتب اللغة، فمثلا: ترد كلمة "السماء" بمعنى "السحاب" أيضا، لأن السحب تتكون بسبب الارتفاع وأشعة الشمس، ولما كانت السماء سببا لتولد السحب أطلقوها على السحب في بعض الأحيان.

فمعنى قوله تعالى ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هو أننا فعلنا ذلك لتمييز الذين يتبعون الرسول من الذين يعرضون عنه. وقد اعتبرنا ﴿لِنَعْلَمَ﴾ بمعنى "لنميّز"، لأنه إذا وردت كلمة "علم" مع صلة "من" فتعني التمييز. وقد كتب أئمة اللغة أن العلم لا يتعدى بـ "من" إلا إذا أريد به التمييز لأن التمييز هو الذي يتعدى بمن (المرجع السابق).

ومن معاني العلم الإظهارُ والبيان، وهذا المعنى لا يوجد في القواميس العامة، ولكن الذين كتبوا القواميس للقرآن الكريم ذكروا هذا المعنى الذي يتأكد من القرآن الكريم نفسه، فقد جاء ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٥١). ويمكن القول بصورة قطعية أن العلم هنا يعني الإظهار والبيان. إذ لا يُقال: "علمتُ ما قلتُ وما قمتُ به"، فمثلا لا يقال: إنني أعلم بالأمس ذهبتُ إلى موضع كذا، ولو قال أحد هذا لضحك عليه السامعون واعتبروا قوله حمقا. ولو اعتبرنا معنى ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا﴾ أننا وصلنا إلى علم ما قد فرضناه، فلن يكون الكلام سليما، لأن العلم يتعلق بشيء آخر. فالمعنى أن ما فرضناه قد أظهرناه وبيّناه. هذا، ولا يمكن أن تُفسَّر العبارة بطريقة أخرى. ونفس الحال بالنسبة للآية الحالية ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ﴾ أي لنظهر ونميز.

رءوف - الرأفة والرحمة معناهما واحد تقريبا، والفرق بينهما أن الرأفة خاصة والرحمة عامة. والرأفة تشير إلى دفع الشر، والرحمة تشمل دفع الشر وإيصال الخير. فالعاطفة التي تتولد لرؤية أذىً يصيب أحد تتولد بسبب الرأفة، وكذلك بسبب الرحمة، ولكن الفرق أن الرحمة تتعلق بالإحسان أكثر، والرأفة تتعلق بدفع الشر أكثر.

التفسير:

هناك سؤال: إلام تشير كلمة "كذلك" في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؟

قال الله قبلها: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي أن الله هو الذي يهدي، وقد هداكم بفضله، ولا يحق لأحد أن يعترض على ذلك. وكلمة "كذلك" تشير إلى هذا.. أي كما أنه هداكم ووفقكم للسير على الصراط المستقيم كذلك أسدى إليكم معروفا آخر إذ جعلكم أمة وسطا.

وكما جاء في شرح الكلمات فإن الوسط يعني المتوسط، ولكن الأمة المحمدية ليست متوسطة.. لا من حيث الزمن ولا من حيث التعليم والشرع ولا الدرجة. إنها ليست أمّة متوسطة زمناً لأنها لن يكون بعدها إلى يوم القيامة أي أمّة أخرى، بل يمكن أن تُسمى الأمّة الآخرة.. لا الأمّة المتوسطة. ثم إنها ليست بالأمّة المتوسطة شرعا أيضا، لأنه بعد النبي ﷺ لا يمكن أن يأتي شرع جديد. ثم إن القرآن آخر التعاليم، ومن هذه الناحية أيضا فهو ليس متوسطا.. بل إن القرآن نفسه يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾. ثم من حيث الدرجة والمكانة كذلك.. ليست هذه الأمّة أمّة متوسطة، لأنها أفضل الأمم وخيرها كما ورد في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

وعلى هذا.. فإن قوله ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ لا يعني أنها متوسطة.. زمناً، أو شرعا، أو تعليما، أو مكانة.. وإنما المعنى أنها من حيث الأعمال أمّة ذات سلوك وسط.. أي معتدل، لا تميل إلى الإفراط ولا تجنح إلى التفريط، بل إن أعمالها تبقى معتدلة ككفتي الميزان، وليس هناك جانب من عملها منحرف عن حد الاعتدال. لذلك يقتضي الإسلام أن يكون المسلم في جميع أعماله ذا سلوك وسطي، لا يميل إلى ناحية مهملا النواحي الأخرى، إذ لو مال إلى ناحية وركّز عليها فإن عواطفه الطبعية سوف تثور وتخرج عن حدودها.

فمثلا لو أنه ترهّب لكانت النتيجة الحتمية ألا يستطيع التحكم في عواطفه الشهوانية، فيترك طريق الحلال ويقع في الحرام. كذلك لو أنه أنفق كل أمواله على الناس ولم يُبق شيئا لحاجات أولاده وأهله.. لما سُدّت حاجاتهم بهذا الفعل، فلا بد أن يضطر للتسول، وهذا في حد ذاته عمل غير مستحب، أو لعله يلجأ إلى السرقة والخيانة.. فبدلا من أن يرتقي في الخيرات يقع في الإثم. فالإسلام - بتقريره أن الأمّة المحمدية أمّة تتمسك بالاعتدال في كل أعمالها - سدّ في وجهها كل طرق الإثم. وقد أشير بقوله تعالى ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ إلى هذا التعليم الإسلامي الوسط مما يميزه عن سائر الأديان كلها. وهذا الأمر وحده يكفي ليثبت فضله على الأديان الأخرى.

وقوله ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أننا فعلنا ذلك لتكونوا شاهدين على الأديان والأمم الأخرى. فكما أن شهادة الشاهد تُثبت ما هو الحق، ولمن الحق.. كذلك العاملون بتعاليم القرآن الذين يُحْدِثون في أنفسهم تغيرات صالحة سوف يكونون بمثابة الشاهدين على صدق القرآن للأمم التي لم تعرف لذة صدق القرآن.. أي أن الشاهدين بلسانهم وعملهم سوف يُعلنون أنهم قد وجدوا دعاوي القرآن صادقه، وبرؤية حياتهم الطاهرة وما يتنزل عليهم من نصرة سماوية.. يدرك الناس أن الطريق الصحيح هو ما يسلكه هؤلاء.

ثم أشار أيضا إلى أنه كما أننا جعلنا المؤمنين العالمين بالقرآن شاهدين للأمم الأخرى على صدق القرآن، كذلك جعلنا رسول الله شاهدا لهذه الجماعة المسلمة على صدق الإسلام.. بمعنى أنه برؤية معجزاته ونصرة الله يترسخ ويتمكن صدق الإسلام بصورة كاملة في قلوب هؤلاء.

فمعنى الآية أننا فعلنا ذلك ليهتدي الناس برؤية هذه المعاملة الإلهية الإعجازية معكم، وكذلك برؤية روحانيتكم وتقواكم. ومن ناحية أخرى يكون هذا الرسول شاهدا حيّا على صدق الإسلام بالمعجزات العديدة والنصرة الإلهية التي تتنزل عليه كالمطر. وتكونون أنتم شاهدين للدنيا على صدق الإسلام، ويكون الرسول شاهدا أمامكم على ذلك.

ويمكن أيضا أن يعني قوله تعالى ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أن الرسول ﷺ يعلمكم الإسلام وتقومون أنتم بتعليمه الناسَ باستمرار.

الحق أن الله تعالى قد بين في هذه الآية كيف تكونون أفضل الأمم.. وذلك بأن تكونوا شهداء على الناس، أي ألاّ تنقطع فيكم أبدا سلسلة التعليم والتربية الروحانية، وأن تحاولوا دائما تقوية إيمان الناس. لذلك قال: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ لِتُعَلموا الناس وتكونوا رقباء عليهم، ومن واجب الرسول أن يُعلمكم ويزيل ضعفكم ويُقوّم عيوبكم.

والحقيقة أنه كما يجتمع في جسم الإنسان بعد فترة بعض الفضلات الزائدة التي تظهر أحيانا في صورة إمساك وأحيانا في صورة إسهال، وكما أن ماء المطر يتراكم على السقف أحيانا ويفسده بسبب فساد أنابيب التصريف، كذلك تماما تتعرض الأمم في مختلف الأزمنة والفترات إلى مثل هذه الأحوال. وكما أن الإنسان الحي لا يستطيع أن يؤدي جميع أعماله بسلامة عضو واحد فقط من جسمه، بل لا بد له من مراقبة سلامة كل أعضائه صباح مساء.. كذلك لا تنصلح أخلاق الأمم تلقائيا، بل لا بد من مراقبتها مراقبة دائمة. والعجيب أن الشخص الفرد الذي لا تساوي حياته شيئا إزاء حياة شعب بأكمله.. يرى أنه من اللازم لقوام حياته أن تُراقَب احتياجاته صباح مساء، ولكنه لا يعطي نفس الاهتمام بمراقبة حالة القوم. كل يوم، يفكر المرء ماذا يأكل في الصباح، وماذا يطبخ في المساء، في الحر ينام في المكان الرطب، وفي البرد ينام في المكان الدافئ. يحسر رأسه في القيظ، ويغطيها عند البرودة، يجتنب حرارة الشمس فيمشي في الظل، ويستتر تحت المظلة من المطر. يهتم بكل هذه الأمور صباح مساء، بل إن الإنسان يفكر في حاجة جسمه بضع عشرة مرة في اليوم الواحد.. فمرة يفكر في النوم، ومرة في الاستلقاء والراحة، وأحيانا في الرياضة والنزهة، وأخرى في الاستحمام. ولكنه لا يعطي نفس الاهتمام ولا يعتني بإصلاح الشعب، بل يظن أنهم سوف ينصلحون من تلقاء أنفسهم. ولو سار الشعب خطوة خاطئة.. فبدلا من أن يلوم المرء نفسه ويعترف بأنه لم يؤد واجباته تجاه الشعب.. يظن أنه يكفيه التعبير عن سخطه على الشعب، ولا يحاول إصلاحهم بالعمل الجاد أبدا. إن هذا المسلك ليس مسلكا صحيحا.. فإن إصلاح الشعب يتطلب اهتماما أكثر من إصلاح الفرد، كما أنه يتطلب عناية أيضا من كل فرد في الشعب. ولو أن كل فرد لا يُولي اهتماما بمسائل الشعب فلا بد أن تحدث التقصيرات والنقائص في بعض الأمور، وسوف تتفاقم حتى لن تبقى إزالتها ممكنة في يد الفرد بل في يد الشعب كله. ومما لا شك فيه أن الإسلام قد أقام الخلافة لاستمرار النظام وتوطيده، ولكن من الخطأ الظن أن واجب الخلافة أن تقوم بكل الأعمال وحدها.. فليس هذا واجب الخلافة وحدها، كما أنه لا يمكن أن يقوم شخص واحد بإصلاح القوم بهذه الصورة. وما لم تتوفّر لدى كل

فرد من الشعب الروح والإحساس بضرورة الإصلاح القومي، وما لم يساهم كل فرد في إصلاح القوم.. فلا يمكن أن تنجح عملية الإصلاح بصورة مُرضية. إنني أرى لو أن المسلمين عملوا بهذا الأمر القرآني، واهتموا بتبليغ الهداية جيلا بعد جيلا، وأدّوا واجب مراقبة أحوال الناس بصورة صحيحة.. ما كان ليصيبهم الدمار والهلاك أبدا. والآن من واجب جماعتنا أن يتذكروا هذا الدرس، ويسعوا دائما لإصلاح الأجيال القادمة.

إن الله تعالى يعظ المسلمين هنا أن من واجبكم أنتم أن تنتفعوا من الفيوض الروحانية لمحمد ﷺ، فتكونوا هداة أمم العالم، ومن ناحية أخرى فقد جعلنا محمداً رسول الله مراقباً ومحافظا عليكم حتى إذا تطرّق إليكم فساد بادر إلى إصلاحه.

الواقع أنه بقدر ما يكون الرسول عظيم القدر عالي المكانة.. بقدر ما يُوهَب من الله أمّة عظيمة الفضل. ولو كان الرسول في درجة عليا وكانت أمته ناقصة لكان هناك خطر تبديد طاقاته. لذا كان من المستحيل أن يبعث الله رسولا ولا يعطيه أمة بحسب قواه وطاقاته. لقد أُعطيَ موسى قوما بحسب قواه وطاقاته، وأعطي محمد أمّة بحسب قواه وطاقاته. والمثال الواضح لذلك هو أن أمّة موسى عليه السلام قالت له في مناسبة حرجة جدا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٥)، ولكن عندما استشار الرسول ﷺ أمته يوم بدر قال أحد صحابته: "لا نقول لك كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا.. ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك" (البخاري، المغازي). وفي رواية: "لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك" (السيرة النبوية لابن هشام، غزوة بدر)، وفي رواية "لن يخلص إليك العدو ما لم يطأ جثثنا الهامدة".

والحق أن هذا الصحابي إنما كان يتكلم بلسان أمة محمد كلها. لم يكن هذا الصوت صوته وحده، وإنما كان صوتا جماعيا، يرتفع من لسانه نيابة عن كل الأمّة.. مما أبرز روح الفدائية والتضحية عند الصحابة واضحة كالنهار. هذا الفرق بين أمة محمد وأمة موسى إنما كان لأن موسى كان محدود الزمن ومحدود القوم، وجاء لإزالة نقائص محدودة. أما الرسول ﷺ.. فقد كانت بعثته للعالم كله، وكان عصره الروحاني ممتدا إلى يوم القيامة، وكان عليه أن يزيل النقائص من الناس إلى يوم القيامة. فالجماعة التي وُهبت للرسول ﷺ لم توهب لموسى، لذلك خاطب الله المسلمين: إننا جعلناكم أمة من الطراز الأول، لكي تكونوا شهداء على الناس رقباء عليهم، ويكون الرسول شهيدا عليكم.. أي أن تربيتكم الروحانية تتم تحت رعاية هذا الرسول، بينما يتم إصلاح الدنيا تحت رقابتكم.. لأن الشخص الواحد لا يمكن أن يبقى في الدنيا إلى الأبد.

وقد جُعل المسلمون خير الأمم لأن كفاءة محمد ﷺ اقتضت أن تكون أمته من الطراز الأول، وإلا لم تتحقق الغاية من بعثه. فكان من الضروري أن تكون الأمة المحمدية خير الأمم ليتشربوا تعليم الإسلام الأسمى، فيُصلحوا به العالم. ولو لم تتوافر فيهم هذه الكفاءات ما تحقق هدف إصلاح الخلق.

وفي هذه الآية أيضا دليل على بعث المأمورين في الأمة المحمدية، إذ يتضح منها أن هذه الأمة قد أقيمت لإيصال فيوض وبركات محمد المصطفى ﷺ إلى الناس دائما. ولما كان يكمن هنا الخطر من أن يصبح المسلمون أنفسهم غافلين عن هذه الفريضة في زمن ما.. لذلك قال أنه عندما تتوقف هذه الفيوض من الوصول إلى الناس بسبب سوء أعمال المسلمين، فإن محمداً ﷺ سوف يأتي بنفسه إلى الدنيا شهيدا عليها. وهذا يعني أنه عندما لا تستطيع الأمة المحمدية مراقبة الآخرين وإصلاحهم، بل تكون هي بحاجة إلى الإصلاح.. فإن هذا الرسول يأتي لإصلاحها. لذلك أخّر الله قوله ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ عن قوله ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، ولو كان هذا الذكر خاصا بزمن النبي ﷺ لعكس الترتيب.. لأن النبي قام بتعليم الصحابة أولا، ثم علّم الصحابةُ الآخرين. ولكن ترتيب الآية يُبين بوضوح أن "شهادة الرسول" لا تتعلق بالبعثة الأولى للرسول وإنما المراد منها البعثات البروزية الأخرى له ﷺ. والمعنى أنه عندما يتطرق الخلل إلى رقابة الأمة المحمدية على الآخرين، ولا يكون سلوكهم مثاليا.. يأتي رسول الله مرة أخرى شهيدا ورقيبا على العالم، وسوف يقوم بتربية المسلمين مرة أخرى ليكونوا أهلا لتربية الآخرين.

كما يبين قوله تعالى ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ﴾ أن المذكورين هنا ليسوا أولئك الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ وحدهم، وإنما المراد الجميع حتى يوم القيامة، وسوف يتحقق قول الله هذا وتبقى الأمة المحمدية شاهدة على العالم إلى آخر الدنيا.. كما يبقى الرسول شاهدا على الناس إلى يوم القيامة. ولما لم يكن الرسول ﷺ ليعيش بجسده المادي إلى الأبد.. لذلك فإن هذه الآية تشير إلى بعثته البروزية، وتُبين أن هذه الأمة المحمدية قد أقيمت لإصلاح الآخرين، ولكن عندما يتطرق الفساد إليها نفسها.. فلن يُصلحها عندئذ رسول من الخارج، بل إن محمداً نفسه.. بطريقة بروزية.. سوف يقوم بإصلاح أمته، وسوف يستمر هذا الأمر هكذا إلى يوم القيامة.

وتُشكل هذه الآية دليلا على كون الإسلام دينا عالميا، لأنه لو لم يكن الأمر كذلك، ولو لم يكن من المقدّر أن يبقى هذا الدين إلى يوم القيامة.. لما كان الرسول ليُبعَثَ لإصلاح الخلق بطريقة بروزية.

وقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن النبي ﷺ كان قبل التوجه إلى الكعبة يتجه إلى بيت المقدس في صلواته، ولم يزل هكذا طيلة حياته المكية لثلاثة عشر عاما، وكذا بضعة عشر شهرا بعد الهجرة إلى المدينة. وأخيرا.. بينما كان يصلي بالناس في مسجد بني سلمة نزل عليه الوحي في شأن تحويل القبلة. فحوّل وجهه وهو في حالة الصلاة نحو بيت الله الحرام، واتجه الصحابة معه من اتجاه بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة.

وقد قال البعض أن النبي ﷺ وهو في مكة المكرمة كان يتجه إلى الكعبة في صلواته، ولكنه عندما قدم إلى المدينة توجه في صلاته إلى بيت المقدس (البحر المحيط، قوله تعالى: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها).. وهذا غير صحيح وينافي الحقيقة.

لقد استغل المؤرخون المسيحيون هذه الفكرة واعترضوا بناء عليها أن محمدا كان يريد إرضاء اليهود بالاتجاه إلى بيت المقدس، ولما لم يفز برضاهم اتّجه مرة أخرى إلى الكعبة. وكتب المستشرقان ويرى وسيل أن محمدا عندما جاء إلى المدينة توجه إلى بيت المقدس لإرضاء اليهود كي يؤمنوا به، ولكنه عندما لم ينجح في مكيدته هذه قال تعالوا نتجه إلى قبلة آبائنا الأصلية مرة أخرى (القرآن لويري تحت هذه الآية).

ولكننا عندما ننظر إلى الأحداث التاريخية يتأكد لنا خطأ هذه الفكرة. فمن الثابت تاريخيا أن النبي ﷺ كان مأمورا بالتوجه إلى بيت المقدس في صلاته عندما كان في مكة، وطبقاً لهذا الأمر الإلهي كان يتجه إلى بيت المقدس قبل هجرته أيضا، وليس بعد هجرته إلى المدينة إرضاءً لليهود كما يزعمون. لم يكن في مكة أي يهودي يُساند النبي، وإنما كان يحيط به المشركون من كل النواحي. نعم هناك روايات تذكر أنه ﷺ كان وهو في مكة - يقف للصلاة في موضع بحيث يتجه منه إلى الكعبة المشرفة وبيت المقدس معاً، ولكنه عندما هاجر إلى المدينة لم يكن ذلك الموقف ممكنا، لأن أورشليم تقع إلى الشمال من المدينة في حين تقع مكة إلى الجنوب منها. وعندئذ أمره الله تعالى أن يبقى متجها إلى بيت المقدس. وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة، وحاصل الأمر أن رسول الله كان مأمورا باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكة يصلي بين الركنين.. فتكون الكعبة بين يديه وهو مستقبل صخرة بيت المقدس. فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس (تفسير ابن كثير، تحت هذه الآية).

وهذا يبين أنه ﷺ عندما كان في مكة كان يرى أن بيت المقدس هي القبلة الأصلية، إلا أنه كان يتجه إليه بحيث تكون الكعبة أمامه، ولكن هذا كان يمثل فائدة ضمنية، والهدف الحقيقي هو التوجه إلى بيت المقدس. ولكن عند وصوله إلى المدينة تغير الوضع الجغرافي واستحال عليه ﷺ التوجه إلى بيت المقدس والكعبة في وقت واحد؛ فعندئذ اتجه إلى بيت المقدس فقط.

فليس صحيحا أنه عندما جاء إلى المدينة أمره الله تعالى أن يتجه إلى بيت المقدس بعد أن كان مأمورا أن يتجه إلى الكعبة في البداية.. لأن مثل هذا الأمر ليس ثابتا.

وإذا استدلّ أحد من توجه النبي ﷺ إلى بيت المقدس وبيت الله الحرام معاً وهو في مكة أن الكعبة كانت هي القبلة الأصلية عنده، فاستدلاله ليس صحيحا. إنه ﷺ كان يعتبر بيت المقدس قبلته الحقيقية، ولكنه كان يتجه إليه بحيث يكون بيت الله أمامه أيضا.

ومن الخطأ أيضا ما اعترض به المستشرق سيل بأن النبي كان في مكة يتجه إلى حيث يشاء.

ومما يُبطل اعتراضهم الأول أيضا أن النبي ﷺ عندما اتجه نحو الكعبة في الصلاة تعرَّض لاستهزاء اليهود إذ قالوا للمشركين: اشتاق محمد إلى مولده، وعن قريب يرجع إلى دينكم (البحر المحيط، تحت هذه الآية). تؤكد هذه الرواية بكل وضوح أن النبي ﷺ كان يتجه في صلواته إلى بيت المقدس وهو في مكة، ولو أنه كان يتجه إلى الكعبة عندئذ لما اعترض عليه اليهود قائلين إنه يرجع شيئا فشيئا إلى دين أهل مكة.. وإنما يصح اعتراضهم فقط إذا كان يتوجه من قبل إلى بيت المقدس لا إلى بيت الله الحرام.

وعلاوة على ذلك يجب النظر فيما إذا كان في هذا التغيير بالفعل مصلحة شخصية. يقول المعترضون أن هذا التغيير كان لإرضاء اليهود أولا ثم لإرضاء أهل مكة. ولكن القرآن يقول إن التغيير كان ابتلاء كبيرا للناس. لم يكن أمرا عاديا أن يأمر الله في مكة أن يتجه أهلها إلى بيت المقدس، ثم في المدينة - حيث كان لليهود والنصارى نفوذ، وكان المشركون أيضا متأثرين بهم - يأمر الله تعالى أن يتجهوا إلى بيت الله في مكة. ولو كان أمرا عاديا لما قال الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾. فهذه الآية تؤكد أن الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس كان ابتلاء كبيرا، وهذا هو الحق. فنظراً لما يُكنّه أهل مكة من تعظيم للكعبة المشرّفة.. حتى إنهم كانوا لا يتعرضون لقاتلٍ يلوذ بها.. يمكن تفهُّمُ ما كان في الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس من ابتلاء كبير لهؤلاء. وكان هناك ابتلاء ثانٍ كبير في المدينة حيث كان لليهود نفوذ كبير.. عندما صدر الأمر الإلهي بالتوجه إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس. لذلك يعتبر القرآن كلا من الأمرين ابتلاء. فقال عن الأمر الأول بتحويل القبلة ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾، وقال عن الأمر الثاني بتحويل القبلة ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا...﴾. يتبين من ذلك أن في كلا الحادثين ابتلاء كبيرا، وفتنة عظيمة، وكان الهدف المقصود من ذلك هو إيقاف الناس على جوهر الدين ومغزاه. ولو كان رأي المعترضين القائل بأن تحويل القبلة كان بهدف إرضاء أهل مكة لقال تعالى: إننا نأمركم بتحويل القبلة ليرضى الناس عنكم ويميلوا إلى الإسلام أكثر، ولكن الله تعالى يقول إن الناس سوف يعترضون عليكم بنزول هذا الأمر، وسيسبب عثاراً لهم.

وبالفعل كان الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس في مكة ابتلاء ثقيلا على المسلمين من أهل مكة.. لأن هؤلاء كانوا يرون منذ قرون طويلة أن بيت الله في مكة معبد مقدس، ولم يكن في قلوبهم تعظيم لبيت المقدس إزاء الكعبة. ولما كان لليهود نفوذ عظيم في المدينة.. كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ابتلاء شديدا لليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام.. لأن بيت المقدس كان مقدسا لديهم. والثابت من التاريخ أن عديدا من الناس وقعوا في الإبتلاء وارتدّوا بسبب هذا الأمر.

فلم يكن هذا التغيير إذن لإرضاء أحد، بل كان فيه اختبار وامتحان لإيمان الناس. ولو كان الغرض إرضاء الناس لكان الطريق الأسلم لذلك أن يأمر الله النبي بالتوجه إلى الكعبة المشرفة من بادئ الأمر وهو في مكة ليرضى عنه أهل مكة، وبالتوجه إلى بيت المقدس كقبلة عندما كان في المدينة ليرضى عنه أهلها من اليهود. ولكن الأمر جرى على العكس من ذلك تماما. ففي مكة توجه إلى بيت المقدس، أمّا في المدينة فبعد مدة وجيزة توجّه إلى الكعبة المشرّفة. فكان هذا التغيير ابتلاء شديدا لأهل هاتين المدينتين حتى ارتد عدد منهم (التفسير الكبير للرازي، تفسير جامع البيان، تحت هذه الآية).

وإلى ذلك يشير قول الله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي أن حادث تحويل القبلة ثقيل الوقع على الناس إلاّ الذين هداهم الله.. لأن الإنسان إذا كان على صلة عميقة بشيء ما.. لا يستطيع تركه بسهولة، اللهم إلا إذا كان قد تداركته هداية الله وكان عازما على طاعة الله في كل حال، وعندئذ لن يكون الأمر صعبا، ولن يتعثر في أي ابتلاء. من ذا الذي يرفض وجود الشمس والقمر بعد رؤيتهما؟ نعم يمكن أن تنشأ في النفوس أسئلة منطقية عما يؤمنون به، لكن الذين متّعهم الله بنعمة الإيمان واليقين لا يسبب لهم الابتلاء أي نكسة.

أما قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ فمعناه: مما لا شك فيه أن هذا كان ابتلاء شديدا صار حجر عثرة لبعض الناس، ولكن الله تعالى لم يكن ليحرمكم من الوعود والبركات المنوطة بأهل هذه القبلة.. ما دمتم قد آمنتم بهذا الرسول إيمانا صادقا. ولا تعني هذه الفقرة أن الله لن يضيع إيمان أولئك الذين تُوفُّوا قبل حادث تحويل القبلة، ولن يُنقص من نعمهم ودرجاتهم الأخروية، كما كتب بعض المفسرين.. وإنما معناها الحقيقى أنه لو لم يُعين الكعبة بيت الله قبلة لما اتضحت للعالم عظَمةُ نبأ إبراهيم، وما كان الله تعالى ليترككم بدون أن ينشئ صلة أبدية بينكم وبين الكعبة مادمتم قد صدقتم بهذا الرسول الذي كان مصداقا للدعاء الإبراهيمي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يشير أيضا إلى أن الابتلاء لا يُراد به إضاعة الإيمان، فإنما يأتي الابتلاء لإبراز إيمان الصادقين وكشف زيف الكاذبين في إيمانهم، ولتظهر به الحكَم وراء أوامر الله تعالى، فيزداد العلم ويترقى.. كما حصل عند تحويل القبلة. فارتقى المؤمنون علما وازدادوا عددا. فمن ناحية ظهر على الناس قوةُ وعظمة إيمانهم، ومن ناحية أخرى أدركوا بأنفسهم الحكمة من الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس أولا وإلى بيت الله ثانيا.

وعندما قال الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا...﴾ كان من الممكن أن تحوم هناك شبهة أن الابتلاءات تنطوي على نوع من الظلم الذي يضيع الإيمان، ولدحض هذه الشبهة قال الله إن الابتلاء لا يضيع إيمان المؤمنين، وإنما يضيع به إيمان الزائفين فيه.. وإلاّ لا يمكن أبداً أن يكون أحد مؤمنا صادقا ومع ذلك يتعثر. إنما يتعثر فقط مَن لا يكون إيمانه صحيحا.

ويثير المستشرق ويري بهذه المناسبة اعتراضا ويقول: عندما وقع الناس في الابتلاء وتعثروا قال محمد أن هذا كان اختبارا (تفسير القرآن لويرى تحت هذه الآية).

الحقيقة الواقعة أن هذه الآيات نزلت قبل نزول الأمر بتحويل القبلة، وما دام الأمر بتحويل القبلة لم ينزل بعد فكيف يحدث الابتلاء؟ وإلى ذلك تشير عبارة (سيقول السفهاء). فاعتراض ويرى في الحقيقة نابع عن تعصبه لا غير.

ونعرف من هذه الآية أيضا أنه ليس في القرآن أي حُكم منسوخ، لأن الله تعالى يعلن بكل جلاء ووضوح ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ ويتبين من كلمة "جعلنا" بوضوح أنه كان هناك أمر خاص نزل لتوجيه الرسول ﷺ إلى بيت المقدس في صلاته، فهولم يكن يتجه إليه بمحض اجتهاده لموافقة أهل الكتاب في التوجه إلى بيت المقدس حين الصلاة. فإذا كانت بعض الأحكام القرآنية تُنسخ كما يقول المفسرون.. لوجب أن توجد في القرآن تلك الآية التي أمرت الرسول بالاتجاه إلى بيت المقدس.. والتي يشير إليها قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾.ولكن ليس هناك آية كهذه في القرآن. فلا بد إذن من التسليم بأنه لو كان هناك أمر من أوامر القرآن من المقدّر في علم الله أنه سوف يُنسَخ.. لما كان لهذا الأمر أن يوضع في القرآن. ولكن الحقيقة الأصلية هي أنه لم يكن هناك شيء من القرآن يُنسخ أبدا. وما كان مُقدّرا أنه سوف يُنسَخ لم يكن ينزل في الوحي القرآني. لقد كانت بيت المقدس قبلةً مؤقتة، وكان من المقدّر أن تكون الكعبة المشرفة القبلة الدائمة.. لذلك نزل الأمر بالاتجاه إلى بيت المقدس في وحي غير قرآني ونُسخ فيما بعد. ويتبين من ذلك بجلاء أن جميع الأوامر والأحكام التى كانت ستُنسخ لم تنزل في القرآن الكريم، ولو كانت هذه الأحكام موجودة في البداية في القرآن ثم نُسخت لكان من الضروري أن تكون موجودة منذ البداية في القرآن بشكلها الأصلي في موضع منه.. ولكن عدم وجودها في القرآن يدل على أن الوحي المقدّر نسخه كان ينزل خارج القرآن الكريم.. كما هو الحال بالنسبة للأمر بالاتجاه إلى بيت المقدس. فهذا الأمر ليس موجودا في القرآن الكريم في أي مكان.. ومع ذلك فإن نسخ هذا الأمر يدل على أن الرسول ﷺ قد أُوحي إليه وحي في هذا الشأن، ولكن الله تعالى كان يعرف أن هذا الأمر سوف يُنسخ، لذلك لم يضُمّه إلى الوحي القرآني. إذن فكان النبي ﷺ يتلقّى نوعين من الوحي: الوحي القرآني والوحي غير القرآني. الوحي القرآني كان أسمى من أن يأتي عليه النسخ، ولكن الوحي غير القرآني كان يمكن أن يُنسخ كما هو الحال في الأمر بالاتجاه إلى بيت المقدس.

(يُتبع)

من نفحات أكمل خلق الله محمد المصطفى ﷺ

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي اللهم عنهم أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم أتي بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن شماله أبو بكر فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال: الأيمن فالأيمن.

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك بن أنس عن نافع عن زيد بن عبد الله بن عمر عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق عن أم سلمة زوج النبي صلى اللهم عليه وسلم أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال: الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم.

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن الأشعث بن سليم عن معاوية بن سويد بن مقرن عن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله صلى اللهم عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع. أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإجابة الداعي وإفشاء السلام ونصر المظلوم وإبرار المقسم. ونهانا عن خواتيم الذهب وعن الشرب في الفضة، أو قال: آنية الفضة، وعن المياثر والقسي وعن لبس الحرير والديباج والإستبرق.

حدثنا أحمد ابن أبي رجاء حدثنا يحيى عن أبي حيان التيمي عن الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهدا الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا قال قلت يا أبا عمرو فشيء يصنع بالسند من الأرز قال ذاك لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو قال على عهد عمر وقال حجاج عن حماد عن أبي حيان مكان العنب الزبيب.

أخذت هذا الأحاديث النبوية الشريفة من صحيح البخاري، كتاب الأشربة.

الإسلام ديني

وعلى التوحيد يقيني وما ضل قلبي وما غوى

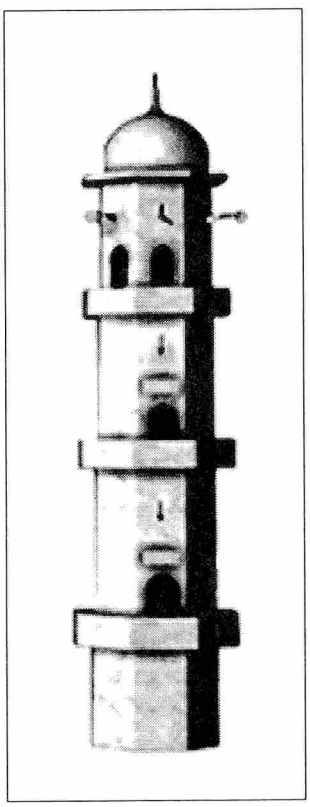

مقتبسات من كلام
حضرة مرزا غلام أحمد
الإمام المهدي والمسيح الموعود
عليه السلام

في ١٨٩٢م كتب حضرة أحمد عليه السلام كتابه المعروف: "مرآة كمالات الإسلام"، وكتب فصلا باللغة العربية في مقدمته باسم: دافع الوساوس، وأضاف إليه ملحقا كتبه أيضا باللغة العربية سماه: التبليغ. ويمكن للقارئ أن يرجع إلى سلسلة "السيرة الطاهرة" المنشورة في العدد السابق ليعرف الظروف التي تعلم فيها الإمام المهدي عليه السلام اللغة العربية. وفيما يلي مقتبس من كتاب التبليغ

يا أيها الناس! التُّقى التُّقى.. النُّهى النُّهى.. ولا تتّبعوا أهواء فيج أعوج، واذكروا ما قال المصطفى. لقد جئتكم حكمًا عدلاً للقضايا وجب فصلها فاقبلوا شهادتي، إني أُوتيت علمًا ما لم تُؤتوه وما يُؤتى. إن كنتم في شك من أمري فتعالوا ليفتح الله بيننا وبينكم، وهو الرب الأقدر الأقوى. إنه مع الصادقين يسمع ويرى. وبشرني في وقتي هذا، وقال يا عيسى سأُوريك آياتي الكبرى. فأي نهج الفصل أهدى من هذا إن كنتم تطلبون الهدى؟ وقد جئت حين سجى الدجى. وغاب الحق من الوجى، وكانت تلك الأيام أيام الوبا قد هلكت فيه أمم كثيرة وكان الإسلام نضْوُ سرى. ما كان له من موئل ومأوى كخابط ليلة ليلاء وكان الطالبون كذي مجاعة جوي الحشاء مشتمل على الطوى. فأوحى إليّ ربي ما أوحى. فنهضت ملبيا للندا فأنبأني ربي مما سيأتي وما مضى. وصافاني ونجاني من كل هم وبلاء وبشّرني بغلبتي على كل من خالف وأبى. وأوحى إلي بأنني غالب على كل خصيم أعمى. وقال إني مُهين من أراد إهانتك وأحسن إليّ بآلاء لا تُعدّ ولا تُحصى. وقال إني معك حيث ما كنت، وإني ناصرك وإني بُدّك اللازم وعضدك الأقوى. وأمرني أن أدعو الخلق إلى الفرقان ودين خير الورى. الذي سن التبليغ وحث على الجهد وحمل الأذى. لست بنبي ولكن محدّث الله وكليم الله لأجدد دين المصطفى. وقد بعثني على رأس المائة وعلّمني من لدنه علوم الهدى. وإن كنتم تشكون في أمرى وتحسبون أنكم على حق في مخالفتي وتظنون قربتكم أعظم من قربتي، فها أنا قائم في موطن المقابلة لرؤية آيات صدقكم وإراءة برهاني على الاصطفاء. وأعزم عليكم بالله الذي هو خالق الأرض والسماء أن لا تمهلوني طرفة عين وجاهدوا لهزيمتي حق جهادكم واستفتحوا لأنفسكم من الله الأعلى. وحرام عليكم أن تتقاعسوا وتستأخروا ولا تبرزوا في مكان سوى. واجتمعوا عليّ كلكم وارموا كل سهام من قوس واحد فستعلمون من هلك ومن حفظه الله تعالى وأبقى. وإن تقبلوني فالله يباركم ويجعلكم مثمرين مباركين آمنين ويرد إليكم أيامكم الأولى. وتسكنون في أمان الله ويتوب إليكم ربكم ويرضى. وكل سوء يتحول عنكم

ويتناهى.

يا قوم! إني لست كافرا كما يُفشي ويفتري عليّ علماء السوء، وما افتريت شيئا على ربي وما أقول لكم من عند نفسي، وقد خاب من افترى. وإني أعتقد من صميم قلبي أن للعالم صانعا قديما واحدا قادرا كريما مقتدرا على كل ما ظهر واختفى. وأعتقد أن لله ملائكة مقربين، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا ينزل أحدٌ من مقامه ولا يرقى. ونزولهم الذي قد جاء في القرآن ليس كنزول الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، ولا صعودهم كصعود الناس من الأسفل إلى الأعلى. لأن في نزول الإنسان تحوّلاً من المكان، ورائحة من شق الأنفس واللغوب، ولا يمسهم لغبٌ ولا شقٌّ، ولا يتطرّق إليهم تغيّر، فلا تقيسوا نزولهم وصعودهم بأشياء أخرى. بل نزولهم وصعودهم بصبغ نزول الله وصعوده من العرش إلى السماء الدنيا. لأن الله أدخل وجودهم في الإيمانيات، وقال: ﴿مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ (المدثر: ٣٢)، فآمنوا بنزولهم وصعودهم لا تدخلوا في كنههما ذلك خيرٌ وأقرب للتقوى. وقد وصفهم الله بالقائمين، والساجدين، والصافّين، والمسبحين، والثابتين في مقامات معلومة، وجعل هذه الصفات لهم دائمة غير منفكة، وخصّهم بها. فكيف يجوز أن يترك الملائكة سجودهم وقيامهم، ويقصموا صفوفهم ويذروا تسبيحهم وتقديسهم ويتنزّلوا من مقاماتهم ويهبطوا الأرض ويُخلوا السماوات العلى؟ بل هم يتحركون حال كونهم مستقرين في مقاماتهم، كالملك الذي على العرش استوى. وتعلمون أن الله ينزل إلى السماء في آخر كل ليل ولا يُقال إنه يترك العرش ثم يصعد إليه في أوقات أخرى. فكذلك الملائكة الذين كانوا في صبغة صفات ربهم كمثل انصباغ الظل بصبغة أصله لا نعرف حقيقتها ونؤمن بها. كيف نُشبه أحوالهم بأحوال إنسان نعرف حقيقة صفاته، وحدود خواصه، وسكناته وحركاته، وقد منعنا الله من هذا، وقال: ﴿مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾، فاتقوا الله يا أرباب النهى.

ونعتقد.. كما كشف الله علينا.. أن عيسى بن مريم قد تُوفّي ولحق بإخوانه النبيين الصالحين، ورُفع إلى مكان فيه يحيى. ونعتقد أن رسولنا خير الرسل، وأفضل المرسلين وخاتم النبيين وأفضل من كل من يأتي وخلا. هو سلكني بنفسه المباركة وربّاني بيده الطاهرة المطهرة وأراني عظمته وملكوته وعرّفني بأسراره العليا.

ونعتقد أن كل آية القرآن بحر موّاج مملوّ من دقائق الهدى. وباطل ما يعارضه ويخالف بيانه من قصص وعلوم الدنيا والعقبى.

ونعتقد أن الجنة حق والنار حق وحشر الأجساد حق ومعجزات الأنبياء حق ونعتقد أن النجاة في الإسلام واتّباع نبينا سيد الورى. وكل ما هو خلاف الإسلام فنحن بريّون منها ونؤمن بكل ما جاء به رسولنا ﷺ وإن لم نعلم حقيقته العليا.

ومن قال فينا خلاف ذلك فقد كذب علينا وافترى. فاتقوا الله ولا تصدقوا أقوال كل ضنين.. مهين.. سعى إليّ كتنين، ومال إلى إكفاري بفيلولة رأيه واتبع الهوى. واعلموا أن الإسلام ديني وعلى التوحيد يقيني وما ضل قلبي وما غوى. ومن ترك القرآن واتبع قياسا.. فهو كرجل افترس افتراسا.. ووقع في الوهاد المهلكة وهلك وفنى. والله يعلم إني عاشق الإسلام وفداء حضرة خير الأنام، **وغلام أحمد المصطفى**. حُبّب إليّ منذ صبوت إلى الشباب وقادني التوفيق إلى تأليف الكتاب، أن أدعو المخالفين إلى دين الله الأجلى. فأرسلتُ إلى كل مخالف كتاباً ودعوتُ إلى الإسلام شيخا وشابا ووعدت أن أُري الآيات طلابا. ووعدت لهم نشبا كثيرا إن عجزت جوابا. فشاهت الوجوه وأبا. وما جاء أحدٌ وما أتى. ولم يجيبوا النّداء ولا فاهوا بيضاء ولا سوداء وما ركض أحد منهم وما دنا.

فهذه آيةٌ من آيات صدقي وسدادي لقوم يتفكرون. من عرفني فقد صدّقني ومن لم يعرفني فلم يُصدقني ومن جاهد في أمر يكشف الله ذلك الأمر عليه فطوبي لقلوب هم يجاهدون. لن يُحرزجني العود بالعقود ولا يملك فتيلا من لا يوثر سبيلا والذين يطلبون فهم يجدون. فيا قوم لا تكفروني بغير عرفان ولا تكذبوني بغير سلطان ولا توسعوني سبّا ولا توجعوني عتبا ولا تدخلوا في غيب الله ولا تُصرّوا على ما لا تعلمون. عسى أن تُكفروا رجلا وهو مؤمن عند الله وعسى أن تُفسّقوا أحدا وهو صالح عنده والله يرى قلوب عباده وأنتم لا تبصرون. يا قوم إن كنت على باطل فالله كاف لإزعاجي،وإن كنت على حق فأخاف أن توخذوا بما تعتدون.

(الخزائن الروحانية، كتاب آئنة مرآة كمالات الإسلام ص ٣٨١- ٣٩٠)

الله نور السماوات والأرض

تعريب: المرحوم الحاج محمد حلمي الشافعي *

خطبة جمعة
ألقاها حضرة ميرزا طاهر أحمد (أيده الله)
الخليفة الرابع لحضرة الإمام المهدي
والمسيح الموعود (عليه السلام)
يوم ١٠/١١/١٩٩٥م
بمسجد الفضل بلندن

بدأ حضرته خطبة الجمعة بالتشهد والتعوّذ وتلاوة سورة الفاتحة فقال:

أَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعْدُ فَأَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ۞ آمين

ثم تلا بعد ذلك آيتين من سورة النور فقال:

﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾

(سورة النور: ٣٦- ٣٧)

واستطرد بعد ذلك قائلا:

أخذت سورة النور اسمها من هذه الآية التي تلوتها عليكم. وقد فسَّر حضرة الإمام المهدي هذه الآية، وأود أن أشرحها لكم على ضوء تفسيره.

يقول حضرته: الله نور السماوات والأرض، فهو مصدر كل نور ترونه في الأعالي أو في المنخفضات، سواءً كان هذا النور في الأرواح أو في الأجسام، وسواء كان نوراً ذاتياً أو عرضيا مكتسبا. والنور الذاتي يعني أن النور جزء من تكوين الجسم، والعرضي أي أنه عارض من الصفات التي تُكتسب ثم تزول.. كأن يكون الإنسان صالحاً أو طالحاً.. فهذه صفات لا تضيف إلى كتلته ولا تُنقص منها، وهذه تسمى صفات عارضة. ولكن الشكل والقامة والوزن صفات ذاتية ثابتة. فكل الصفات التي لا تضيف إلى الشيء بل تقدمه في صور مختلفة دون تغير في حجمه أو هيئته.. هي صفات عارضة. يقول سيدنا الإمام المهدي:

"فهو مصدر كل نور ترونه في الأعالي أو في المنخفضات، سواءً كان هذا النور في الأرواح أو في الأجسام، وسواء كان نوراً ذاتياً أو عرضيا مكتسبا"

* رئيس تحرير التقوى السابق وهو كاتب من مصر الشقيقة

إن النور سواءً كان مادياً أو روحانياً، فهو في كلتا الصورتين مكتسب من الله تعالى.. سواءً كان هذا النور باطنيا أو ظاهريًا.. وسواءً كان هذا النور مرئيا أو غير مرئي. فمثلا من صفات الإنسان صفات مكنونة في ذاته، وما لم تتجلّ هذه الصفات لا يعرفها الآخرون.. أما هيئة الإنسان وصورته فهي ظاهرة يراها الناس. فسواءً كان هذا الحال أو ذاك، وسواء كان هذا النور ذهنيا أو خارجيا، فهو منبثق من الله تعالى. مثلا.. قد تتجلى على الإنسان صفات الله تعالى، أو لعله يتعرّف على نقطة من حِكم العرفان، فهذه حالات من النور التي يمرّ بها الإنسان. أو لعله يرى نور الله يتجلّى في شيء ما، فهذا أيضا نوع من النور الخارجي.. فكل الأشكال المختلفة للنور منبعها الله تعالى. فليس هناك بركة من أي شكل إلاّ وهي مكتسبة من الله تعالى. فقوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾.. يعني أن كل مخلوق يكتسب البركة من الله، ولو قطع الله بركته عنه لصار عدماً وما كان وجوده ممكنا، فإن لم يكن فيض الله متجلياً عليه لا يبقى للشيء وجود. وما لم يتعلق الشيء برحمانية الله تعالى ينتهي وجوده، سواء كان من ذوات الروح أو من الجمادات أو من غيرها، أو من الذرات التي نراها والتي لا نراها.. فكل هذه الأشياء تتجلى فيها رحمانية الله تعالى.

بعد هذا الشرح يقول حضرة الإمام المهدي: كل هذا إشارة إلى أن فيض رب العالمين يحيط بكل شيء ولا يخلو شيء من فيوض رحمانيته. إن الله هو مبدأ جميع الفيوض، ومنبع كل نور ورحمة. ذاته حقيقية، وهو قيّوم لكل ما في العالم. وهو القيوم الذى يُعطي ويكفل لكل شيء وجوده وبقاءه. كل شيء يجد الملجأ والحماية في قدرة الله تعالى. هذا هو معنى ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾. إن الله هو الذي أخرج كل شيء من ظلمات العَدم.. فالعدمُ ظلمة، وعندما يُوجد شيء فقد خرج إلى نور. فالله تعالى يُخرج الأشياء من ظلمة العدم إلى نور الوجود، لذلك نقول إن الله تعالى موجد كل شيء. إنه يخرج كل شيء من ظلمة العدم ويخلع عليه نور الوجود. فقوله: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾ يعني أنه ليس لشيء سوى الله وجود قديم وواجب بذاته.. لأن السماوات والأرض في حد ذاتها ليست قائمة على الدوام، كما أنها ليست موجودة منذ الأزل. هي ليست نور الله تعالى، وإنما هي مظهر لنوره عز وجل.

بهذه العبارة حل حضرة الإمام المهدي تلك المسألة الهامة التي حاول الفلاسفة حلها منذ آلاف السنين، وأخطأوا فيها خطأً ذريعا. يقول هؤلاء الفلاسفة: إذا كان الإله نوراً وهو موجود في كل مكان، فكل موجود يعكس ذلك النور يكون مظهرا له، وبالتالي يكون هو ذلك الإله؛ فنحن أيضا ذلك الإله؛ وهذه الأنعام والحيوانات والسماوات والأرض والمخلوقات كلها أيضا هي ذلك الإله.

ما هو الحد الفاصل إذن بين الخالق والمخلوق؟

بين لنا حضرة الإمام المهدي هذه النقطة، وعرّفنا الفرق بين هذه الأشياء التي تسمّى نور الله وبين الله جل وعلا. قال إن هذه

"وما لم يتعلق الشيء برحمانية الله تعالى ينتهي وجوده، سواء كان من ذوات الروح أو من الجمادات أو من غيرها، أو من الذرات التي نراها والتي لا نراها. فكل هذه الأشياء تتجلى فيها رحمانية الله تعالى."

"فالعدم ظلمة، وعندما يوجد شيء فقد خرج إلى نور. فالله تعالى يخرج الأشياء من ظلمة العدم إلى نور الوجود، لذلك نقول إن الله تعالى موجد كل شيء. إنه يخرج كل شيء من ظلمة العدم ويخلع عليه نور الوجود."

الأشياء مظاهر لنور الله تعالى، ليست فيها صفة الوجود، ولا يمكن أن يبقى ويستمر شيء منها بنفسه. إذا رفع الله قدرة التكوين من أي موجود أصبح هذا الموجود عدماً. ولكل هذه الأشياء بداية ولكن ليس لله بداية. هكذا بيّن حضرة الإمام المهدي الحدّ الفاصل.. كيْلاَ يظنَّ أحد أن هذه الأشياء أيضا آلهة. ثم يقول حضرته: يجب أن يتوفر شرط الوجود الدائم في الشيء ليكون واجباً وقديماً.. ولكن كل شيء يكتسب وجوده من الله تعالى. فلا يمكن أن يُتصور وجودٌ يبقى حياً أو قائما بدون مدد من الله تعالى. هذا هو الفيضان الذي قد أحاط كل شيء كالدائرة، ولا يمكن لأي وجود نتصوّره أن يخرج عن هذه الدائرة.. دائرة فيضان الله تعالى. وبدون أي استثناء.. كل شيء سواءً كان حيًّا أو عديم الحياة، صالحاً أو فاسدا.. يكتسب النور من الله، وهو يحتاج إلى قرار بوجوده من الله تعالى.

ومن هنا نفهم لماذا طلب الشيطان مهلةً من الله تعالى. فالشيطان يعرف أنّ الله تعالى إذا لم يمهله أو لم يسمح له بذلك.. فلا يستطيع أن يقوم حتى بالأعمال الفاسدة أيضاً. فالشيطان يعمل لأن الله تعالى أمهله، وإلا لما استطاع القيام بهذه الأعمال. من هنا نستطيع أن نفهم العلاقة بين الصالح والطالح.. الله تعالى يريد الخير، ولكن الشرير عندما يُصبح شريراً ويريد أن يأخذ الشر بدلا من الخير فالله تعالى يسمح له. عندما يخيّر الله الأشياءَ لتكون خيراً أو شراً.. فحينئذ فقط تستطيع أن تكون خيراً أو شراً. ولكن لا يمكن ـ دون أن يسمح الله لها – أن تبقى في حالة خير أو شر. لذلك تكون دائما لها علاقة بالله.

"فلا يمكن أن يُتصور وجودٌ يبقى حياً أو قائما بدون مددٍ من الله تعالى. هذا هو الفيضان الذي قد أحاط كل شيء كالدائرة، ولا يمكن لأي وجود نتصوّره أن يخرج عن هذه الدائرة."

"عندما خير الشيطان خيّر الناس أيضاً لو سمح للشيطان ولم يسمح للناس لم يكن هناك أي إذن للشيطان"

الشر لا يصدر من الله تعالى، ولكن الشر لا يمكن أيضا أن يحدث بدون إذن من الله تعالى. يجب أن يفهم الإنسان أن الشر ليس من الله تعالى، ولكنه أيضا لا يمكن أن يبقى بدون إذن من الله تعالى.. وأن من يختار الشر يختاره بحريته.. لذلك هو الذي يتحمّل العقوبة على اختيار الشر. لقد سجّل الله تعالى حواره مع الشيطان ليشرح لنا هذا الموضوع.. وأن الشيطان ما كان يستطيع البقاء بدون إذن الله، وقد أذن الله له، وقال له إنه يسمح لعباده أن يتّبعوه أو يتبعوا الله.

هذا مشهد محيّر لإذن الله تعالى.. فهو عندما خيّر الشيطان خيّر الناس أيضاً. لو سمح للشيطان ولم يسمح للناس لم يكن هناك أي إذن للشيطان، ولكن الله تعالى قال للشيطان: استخدمْ كلَّ طاقتك، وتعال لهم من اليمين والشمال. لك أن تضلّهم إن استطعت. هؤلاء أيضا مخيّرون أن يختاروني أو يختاروك، ولكن عبادي المخلصين لن يتبعوك أبداً. ورغم أنني أذنت لك بإضلالهم.. فلن تستطيع أن تتمكن منهم بالتضليل.

وعلى هذا.. عندما يقول حضرة الإمام المهدي أنّ كل شيء يمكن أن نتصوره مبني على النور.. فمعنى ذلك أنّه لا يمكن أن يبقى على حاله بدون إذن من الله تعالى. لا يمكن أن تبقى الظلمة أو الخسارة ما لم يكن هناك إذن من الله تعالى.

ولكن هناك فيض إلهي خاص.. ويشرح حضرة الإمام المهدي ذلك الفيض الخاص ويُبيّنه بصورة التمثيل.. فيقول هناك فيض خاص مشروط بشروط، ينزل على أفراد تتوافر فيهم شروط معينة لكسبه.

لقد ذكرتُ لكم ما هو الفيض العام الذى يشمل جميع العباد.. سواء عباد الله المخلصين، أو الأشرار من الناس. ومثاله كمثل المطر الذي يمطره الله تعالى على الشرير والصالح. هناك نعم الله المتاحة للجميع، والتى قد يستغلها الأشرار أكثر من الأخيار. فإذا كانت الأمم الشريرة أيضا تعيش وتتقوى وتتكالب على الصلحاء.. وتستغل هذه النعم استغلالا أكثر، فهذا دليل على أن رخاءهم واستغلالهم من نعم الله تعالى بسبب الرحمة الإلهية العامة التي جعلها الله تعالى لجميع الناس، ولا يصح أن يُخدع في ذلك أحد ويقول بأن لله علاقة بالشر.. أي أنه هو الذي يسبب الشر. بل الحق أن الشر والخير كلاهما يَكتسبان من فيض الله ورحمته العامة الواسعة. لقد شرح الله تعالى هذا الموضوع وقال أنه قد خلق كل الأشياء والطيبات للناس أشراراً وصلحاء على السواء في الدنيا، ينال منها الصالحون كما ينال منها الأشرار، ولكن بعد الموت.. في الحياة الآخرة تكون خالصة للمؤمنين الذين يموتون على الإسلام ولأجله، وفي الآخرة سوف يُحرم الأشرار منها. وهذه هي النعمة الخالصة من الله تعالى للذين لا يَقبلون تأثير الشيطان. وهناك شروط يوفون بها، وواجبات يؤدونها.. حتى يتنزل عليهم هذا الفيض الخاص. وهذا الفيض الخاص هو ذلك النور الذي ذكره الله تعالى تمثيلا.. حيث جعل النبي ﷺ مثالاً لذلك النور، وبيّن أن هذه الرحمة الخاصة تخص عباد الله المخلصين.. وعندما تصل هذه الرحمة إلى ذروتها ومعراجها.. فعندئذ يتألق النور في محمد ﷺ. وهذا التألق هو أقصى الترقيات للإنسان.

يقول حضرة الإمام المهدي في شرح هذه الآية: إن هذا النور يتنزل على خاصة عباد الله.. الذين لديهم ملكات لتلقّي هذا النور.. كالأنبياء، وأعظمهم مقاما هو محمد المصطفى ﷺ. فمن بين جميع الناس كافة يكون أنبياء الله تعالى موردا لهذا النور بطريقة كاملة، وفي القمة منهم المقام الذي تبوأه الرسول ﷺ.

يبدو أن هذا الموضوع صعب وسأحاول تبسيطه، ولا بأس من الإطالة في بيانه، لأن كثيرا من الإخوة كتبوا في رسائلهم أنهم يجدون صعوبة في فهم كل معاني هذا الموضوع، وأشار البعض الآخر أن سلسلة الخطب هذه قد حلت لهم كثيرا من المشاكل.. وهناك أمر عجيب يتعلق بهذا الموضوع، وهو أن الثقافة لا تلعب دوراً كبيرا في فهمه.. فإن كثيرا من المثقفين الذين حققوا الكثير من المعارف الدنيوية يقولون أننا لم نفهم شيئا، وكثيرا من غير المثقفين الذين بالكاد يعرفون القراءة والكتابة يقولون أننا فهمنا جيداً، ويتبيّن من تعليقاتهم أنهم قد استناروا من هذه الخطب. وموضوع المثال الذى سوف أذكره الآن يتعلق بما قلت.. فالرسول ﷺ الذي كان المثل الكامل للنور في العالم كان أمّيا يعيش بين القوم الذين كانوا أدنى الأمم ثقافةً. وُلد ونشأ في قوم لم يكن فيهم حبّ التعليم، ومع ذلك تطور وتقدم سيدنا المصطفى لدرجة أن أصبح مظهرا للنور الكامل.. بحيث أنه إذا كان في هذه الدنيا أحدٌ صار مظهراً كاملاً لنور الله تعالى فهو رسول الله ﷺ.

فالإخوة الذين يظنون أن خُطبي هذه تخصّ

"فالرسول ﷺ الذي كان المثل الكامل للنور في العالم كان أمّيا يعيش بين القوم الذين كانوا أدنى الأمم ثقافةً. ولد ونشأ في قوم لم يكن فيهم حبّ التعليم، ومع ذلك تطور وتقدم سيدنا المصطفى لدرجة أن أصبح مظهرا للنور الكامل."

العلماء والمثقفين فقط أقول لهم أن تعاليم الرسول ﷺ تخص العالم كله، ولا يصح لأحد أن يتعلل فيقول: إنني لم أكن مثقفا ولذلك لم أفهم تعاليمه. من الذى علّم النبيَّ ﷺ؟ إن نور التقوى هو الذي يمنح الترقي ويُعلّم الإنسان ويزيده عرفاناً بالله تعالى. فإذا كنتم لا تفهمون الموضوع فيجب أن ينتابكم القلق بشأن أنفسكم.. لأنه إذا كان هناك نور في السماء أمكن للإنسان أن يرى نور الشمس حتى ولو كان بصره ضعيفا. ولا يمكن لأحد أن يقول: إنني لست مثقفا فلا أستطيع أن أرى في النهار، أو يقول: أنا مثقف فأستطيع أن أسير في الظلام. إنّ هذا الأمر يتعلق بنور الذكاء أو البصيرة.. فكما أنّ الإنسان بحاجة إلى النور في الدنيا المادية ليستفيد منه، كذلك هو بحاجة إلى بصيرة ثاقبة في الأمور الروحانية. فيجب أن تهتموا ببصيرتكم الروحانية، وادعُوا الله تعالى أن يصقل بصيرتكم، ويُيسر لكم الأمور التي يصعب فهمها. فمثلا يصعب على الإنسان أن يرى بعض الأشياء على البعد، كذلك تكون بعض المواضيع دقيقةً يحتاج الإنسان فيها إلى نظرة دقيقة، ولكن الله تعالى قد أودع الإنسان القدرةَ على النظر الدقيق، وهو بحاجة إلى منظار التقوى. فإذا استخدمتم منظاراً قويا من التقوى فسوف ترون أدق المعاني التي لا ترونها عادة.

لقد فسر لنا حضرة الإمام المهدي هذه الأشياء لأنه رآها بمنظار التقوى، ولم يكن أحد أتقى منه في هذه الأيام. ونستطيع أن نرى بعينه إلى حدّ ما، ونستطيع أن ندرك بعض الإدراك لهذه المشاهد التى رآها حضرة الإمام المهدي. لذلك فأنا أحاول أن أبسّط لكم أقواله، وأدعو الله تعالى أن يصقل بصيرتنا كي نستطيع أن نرى نور الله تعالى، فبدونها لا نستطيع رؤية هذا النور.

"صعب على الإنسان أن يرى بعض الأشياء على البعد، كذلك تكون بعض المواضيع دقيقةً يحتاج الإنسان فيها إلى نظرة دقيقة، ولكن الله تعالى قد أودع الإنسان القدرة على النظر الدقيق، وهو بحاجة إلى منظار التقوى"

يقول حضرة الإمام المهدي: إن هذا الفيض حقيقة دقيقة نادرة، وهي حقيقة ثابتة لا ريب، ولكن الحجج والأسباب التي تتعلق بالحكمة التي أريد أن أحدثكم عنها هي أشد لطفاً. وبسبب ذلك أوضح الله فيضه العام أولا، ثم بعد ذلك ذكر فيضه الخاص في صورة مثال للنبي ﷺ، وهكذا يسّر الله لنا هذا الأمر. تحدّث أولا عن النور العام الذي يمكن أن يفهمه كل إنسان فقال ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾. فكل إنسان يستطيع أن يفهم أنه لا يمكن لشيء أن يوجد أو يبقى ما لم تتوفر له إرادة الله تعالى. وكل صفة أو قدرة تتجلى في أي شيء هي في يد الله تعالى.. فإذا حافظ الله ـ من خلال قوانينه في الطبيعة ـ على هذه الصفات بقيت هذه الصفات في الشيء، وعندما يرفع الله يد الحماية انعدمت هذه الصفات في الشيء. وعلى هذا.. يبقى الشيء ما دام وجوده مقدّراً في خطة الله وإلا ينتهى. ونور الله يعمل في الإنسان، وبدونه لا يمكن تعريفه. ويقول الله أنه في إطار هذا النظام سوف تزداد وتُصقل هذه الملكات، ثم بمرور العمر سوف تضعف كما يضعف ضوء الشمس بعد منتصف النهار، وهذا ما يُسمى عندنا الشيخوخة. وآخر مراحل هذه الشيخوخة هي أرذل العمر. فهذه الصفات والملكات وإن كانت تسمّى مظاهر نور الله ولكنها ليست نوراً بنفسها وإلا ما كانت لتزول.

ويقول حضرة الإمام المهدي: أما بالنسبة لنور الله تعالى فلا يمكن وصفه إلا بأن نضرب

له مثالاً.. لأن نور الله تعالى لا يستطيع العقل البشري أن يعرف كُنْهَه وحقيقته بأي وسيلة. يمكن أن يستفيد الإنسان من هذا النور، ولكنه لا يستطيع أن يعرفه معرفة تامة، لأن هذا أسمى من قدرة الإنسان. لذلك بيّن الله تعالى هذا الأمر بالتمثيل والمقارنة كي نتمكن من فهمه.. وأفضل وأصدق وأقدس مثال لذلك عند الله تعالى هو محمد رسول الله ﷺ.

ويقول الله تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، ويقول حضرة الإمام المهدي في تفسيره: إن الله تعالى ضرب هذا المثل لكي يسهل فهم هذه المسألة الدقيقة، ولا يبقى هناك إبهام. وإذا لم يُفَهمنا الله نُوره بمثال النبي ﷺ ما كان في وسع أي إنسان أن يَفهمه، لذلك ضرب الله تعالى لنا مثال نوره بالنبي ﷺ. وهكذا فتح لنا باباً لفهم هذا الموضوع الدقيق من الحكم الإلهية العميقة.. لأن المعاني المعقولة إذا صُوِّرَت في أمثلة محسوسة يفهمها حتى البليد. ولو شَرحتَ المعاني المعقولة بتشبيهها بأمثلة محسوسة فإن الإنسان وإن كان ذا فهم قليل يمكن أن يفهم هذه الأمور الدقيقة، لذلك ضرب الله مثال محمد ﷺ لشرح نوره.

تقول الآية: إن مثال هذا النور موجود في رجل كامل هو محمد ﷺ، ومثاله كمصباح في زجاجة داخل مشكاة. المشكاة مثل الفانوس. فما هي تلك المشكاة بالنسبة إلى النبي ﷺ؟ يقول حضرة الإمام المهدي: إنها صدر النبي ﷺ - أي عقله - الذي كان قد انشرح ليسع كل المفاهيم والمعارف في الكون كله، لأن العلوم الإلهية العميقة كانت تتنزل في هذا الصدر. ولماذا اختار الله تعالى صدر محمد؟ لأنه كان صدرا رحيبا للغاية. وفي هذه المشكاة.. في هذا الصدر أو العقل يوجد سراجٌ. فما هو هذا السراج؟ يقول الإمام المهدي: هذا السراج هو وحي الله تعالى.. هذا السراج هو المثال الذي ضربه الله لنور الله الذي يتوقد في ذهن - أو قلب - النبي ﷺ. أين هذا المصباح؟ هذا المصباح في زجاجة.. في كرة بلورية.. من الزجاج شديد الشفافية والصفاء بحيث لا يُكدر ضوء المصباح.. بل يخرج هذا الضوء صافياً إلى كل الجوانب.

فهذا الفانوس هو قلب النبي ﷺ يتجلى عليه نور الله فينبعث للناس. ولم يكن هذا النور الإلهي ينبعث من قلب أحد من الناس بمثل ما انبعث من قلب النبي ﷺ لأنه لا أحد سواه يملك هذا الفانوس المتوهج المتألق.. الخالي من أي كدرة أو غبرة.. بحيث ينشر الضوء من خلال الزجاجة الصافية كما هو دون أي تغير. هذه هي الصفة الأساسية لقلب محمد ﷺ ولذلك اختاره الله تعالى لينشر نوره في الدنيا. في ذلك القلب المقدس.. قلب محمد رسول الله.. أنزل الله تعالى هذا المصباح.. لأنه قلب منزه من كل كدورة وكثافة.. كالبلور الشفاف النقي الذي لا يكون فيه شائبة من الشوائب، وهو قلب مطهر ومنزه تماماً من أي علاقات بغير الله تعالى.

انظروا ما أروع هذا التفسير والوصف لقلب محمد ﷺ. يقول إنه نزيه من كل علاقة بغير الله تعالى. لو نزل الوحي على قلب فيه شائبة من الدنيا فلا بدّ أن يتكدّر هذا الوحي عند ما يخرج منه. فالكدورة تنشأ من علاقات الدنيا.. التي تحرم صاحب الوحي من فهم

"إن الله تعالى ضرب هذا المثل لكي يسهل فهم هذه المسألة الدقيقة، ولا يبقى هناك إبهام. وإذا لم يُفَهمنا الله نوره بمثال النبي ﷺ ما كان في وسع أي إنسان أن يَفهمه، لذلك ضرب الله تعالى لنا مثال نوره بالنبي ﷺ. وهكذا فتح لنا باباً لفهم هذا الموضوع الدقيق من الحكم الإلهية العميقة.."

هذا الوحي، وأيضا تحرمه من أن يعكس هذا الوحي للناس صافيا كما جاء إليه. وبقدر صفاء القلب يكون صفاء الفهم وصفاء الأشعة المنعكسة. وهذا الذي يقوله حضرة الإمام المهدي ليس كلاما خياليا أو كلمات فارغة بل هي حقائق قائمة على حكمة عميقة. لو غُصنا في أغوارها وفهمناها لعرفنا معنى النور وبأي مفهوم جاء. فقلب النبي النقي الطاهر ذُكر هنا كفانوس متلألئ ليتنزل عليه وحي الله تعالى، وهو من اللمعان والصفاء بحيث يضيء الدنيا كلها.. وهذا هو المَثَل الذي ذكره الله في هذه الآية مشيرا إلى النبي ﷺ.

ثم يقول حضرة الإمام المهدي: وهذه الزجاجة صافية ولامعة كأنها نجم شديد التألق ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.. كأن الله تعالى رفع الرسول ﷺ بين النجوم والكواكب وقرنه بأشدها تألقا.. فهو وإن كان من أهل الأرض لكنه صار من أهل السماء.

ثم يقول حضرة الإمام المهدي: أي أن قلب محمد ﷺ خاتم الأنبياء الذى يُرى نوره كالماء الدافق منبعثا منه، وهذا السراج يوقد من شجرة زيتون.

يقول أمير المؤمنين: هذه مسألة يتدبر فيها الناس ولكنهم لا يستطيعون أن يفهموها، ولكن كشفها الله لحضرة الإمام المهدي. يقول إن المراد من قوله ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ هو شخصية النبي ﷺ لأنه مجموعة من البركات، وفيضه ليس محدودا بمكان أو زمان أو اتجاه، وإنما فيضه دائم لا ينتهي أبدا وبركاته للناس جميعا.

لقد قال هذا لأنه من بين كل الأشجار التى خلقها الله تعالى لمنفعة الناس.. يمكن أن تكون شجرة الزيتون أنسب شجرة تصلح مثالاً لشجرة البركة المحمدية.. لأن هذه الشجرة توجد في الشرق والغرب على السواء، ويخرج منها زيتٌ صاف شديد النقاء، لا مثيل له في الصفاء لدى أي شجرة أخرى. ثم إن هذا الزيتون مفيد جداً.. ولذلك ضُربت هذه الشجرةُ الطيبة.. شجرةُ الزيتون.. مثلاً لشجرة وجود النبي. إن هناك فوائد كثيرة لزيت الزيتون.. وعندما يحترق لا يكاد يحدث أي دخان.

لم يكن ممكنا أن يُضرب لشجرة وجود النبي ﷺ مثالا في شجرة أخرى غير الزيتون. والقرآن أيضا يشرح هذا الموضوع ويبين أن شجرة الزيتون نفسها أيضا مثال أقل من مثال شجرة وجود النبي ﷺ.. ففي بعض الأحيان يكون المثال (المشبّه به) أضعف من الممثل (المشبه). فأقرب شيء لنور الله تعالى هو نور الرسول ﷺ - وهو ليس الله عز وجل.. وأقرب شيء لضرب مثال وجود رسول الله هو شجرة الزيتون.. وزيتها هو الأصفى والأنقى.

ويمكن أن تفهموا هذا المثال من ناحية طبية، فهو أفضل زيوت الطعام. لقد اتفق العلماء بعد بحوث كثيرة أن الذين يأكلون زيت الزيتون أقل عرضة للأزمات القلبية من الآخرين. ليس هناك زيت آخر فيه مثل هذه الفوائد. كل زيت فيه مكونات تؤثر في القلب، وهي تترسب في الشرايين، وهذا الترسيب يسبب الأزمة القلبية. ولكن هذه المكونات أقل ما تكون في زيت الزيتون. وقد أشار الله إلى هذا روحانيا في الآية التالية.

نرجع مرة أخرى إلى ما كتبه حضرة الإمام

ثم يقول حضرة الإمام المهدي: وهذه الزجاجة صافية ولامعة كأنها نجم شديد التألق ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.. كأن الله تعالى رفع الرسول ﷺ بين النجوم والكواكب وقرنه بأشدها تألقا.. فهو وإن كان من أهل الأرض لكنه صار من أهل السماء.

المهدي، يقول: إن هذا الزيت مستخرج من شجرة الزيتون، والمراد من الشجرة المباركة هو شجرة وجود النبي ﷺ لأنه جامع لأنواع البركات والخير والكمالات، وفيوضه لا تتقيد بجهة أو مكان أو اتجاه، بل هي عامة لكل الناس، دائمة لن تنقطع أبداً. وهذه الشجرة ليست شرقية ولا غربية. وهذا يشير إلى أن شجرة وجود النبي ﷺ ﴿لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾.. فكما أن شجرة الزيتون تعم بنفعها الشرق والغرب فإن النبي بصفاته الروحانية وتعاليمه لا يُفرّق بين الشرق والغرب، ولا يتعصب لهذا على ذلك، بل تفيض بركاته للجميع على السواء. ثم ليس في فطرة النبي ﷺ إفراط ولا تفريط، بل هو على الاعتدال الكامل. فجملة "لا شرقية ولا غربية" تعني أيضا بأنه في الوسط.. كمؤشر البوصلة تشير دائما إلى الشمال وهو دائماً يكون في الوسط. وإنه مشترك بين الشرق والغرب، وهو في الوسط من ناحية الصفات والخصال، وفي الوسط بالنسبة إلى العلاقات مع الناس. وكذلك هو في الوسط من ناحية تعاليمه، ولا يمكن أن يقول أحد عن تعاليمه أنها تناسب الشرق وليس الغرب أو يقول العكس. فقوله ﴿لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ يُشير إلى كون النبي ﷺ هو الأفضل.. لأن كلمة أوسط تستخدم للأعلى والأفضل. لأنه من يكون في الوسط هو الأفضل. فقوله ﴿لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ يُشير إلى صفاته العالمية، وإنه الوحيد الذى جُعل نموذجاً لنور الله تعالى لكل العالم.

ثم يقول حضرة الإمام المهدي أن شجرة وجود النبي ﷺ معتدلة على أحسن تقويم. يقول الله تعالى في سورة التين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.. أي إن الله تعالى جعل صفات النبي ﷺ كلها معتدلة. إن الله تعالى خلق صفات الإنسان معتدلة، ليس فيها ميل إلى صفة معيّنة كما في الحيوانات.. ففيه صفة الشجاعة كالأسد، وفيه التواضع كالشاة. كل الصفات المعتدلة الموجودة في الحيوانات الأخرى رُكّبت في الإنسان بعد التسوية. وفي هذا إشارة إلى مرحلة التطور الطويلة لتسوية صفات الإنسان وبعدها أثمرت الحياة ثمرة الإنسان. كثير من الحيوانات الأخرى لم تكن صورة كاملة لهذا التعديل. الحيوانات الأخرى ثمار لحُسن تقويم، ولكنها ليست ذروة هذه الثمار.. وإنما الذروة هي الإنسان. والمرحلة الأخيرة.. وذروة الناس هو الرسول ﷺ الذى تجلّت فيه هذه الصفات في أحسن تقويم.

يقول حضرة الإمام المهدي: إن نور الوحي قد أشعل هذا المصباح، ومعنى ذلك كمال الصفات والأخلاق الفاضلة في النبي ﷺ.. المخدومة بمقدرة فكرية صافية.

الموضوع يزداد دقة ولطفا.. ولكن النبي ﷺ من الصفاء والوضوح بحيث لا يعجز عن فهمه إلا عديم الذكاء.

إذا لم يستطع أحد أن يفهم بسبب عمق ما يتضمنه الموضوع من حكمة دقيقة فذلك لأنه غبي أو بليد. ولكن نور فطرة حضرة الإمام المهدي كان مصقولاً، وأُعطي زيتا كان في الحقيقة بركة من زيت شجرة محمد ﷺ.. ولذلك استطاع أن يرى بيسر وسهولة. هذه الجملة ثقيلة، ولكن إذا أزيح ثقلها فُهمت. وحضرة الإمام المهدي عاش في هذا الجو ورآه بجلاء، لأجل ذلك نقول إنه كان من

"فكما أن شجرة الزيتون تعم بنفعها الشرق والغرب فإن النبي بصفاته الروحانية وتعاليمه لا يفرق بين الشرق والغرب، ولا يتعصب لهذا على ذلك، بل تفيض بركاته للجميع على السواء. ثم ليس في فطرة النبي ﷺ إفراط ولا تفريط، بل هو على الاعتدال الكامل"

"يقول حضرة الإمام المهدي: إن نور الوحي قد أشعل هذا المصباح، ومعنى ذلك كمال الصفات والأخلاق الفاضلة في النبي ﷺ المخدومة بمقدرة فكرية صافية."

ذلك العالم.. وأمثالنا يمكن أن يُعتبروا أمامه أغبياء. فإذا كنا لا نستطيع أن نرى بعين النبي ﷺ فلنحاول أن نرى إلى حد ما. يقول الشاعر: المرآة لا تعرف صفاتك وشرفك.. فانظر بعيني لترى نفسك. فالإنسان العادي لا يستطيع أن يعرف مرتبة النبي ﷺ، فإذا أردنا أن نعرف حُسنه ومرتبته فعلينا أن نراها بعين الإمام المهدي عليه السلام.

لو أن إنسانا فيه حياءٌ وشرف قرأ تفسير حضرة الإمام المهدي لا يمكن أن تخرج منه كلمة من الوقاحة ضد حضرته. حتى لو لم يفهم كل هذه الكلمات.. فإنه على الأقل سوف يعترف بأن هذا الكلام صادر من عارف بالله تعالى.. له اتّصال كامل برسول الله ﷺ كاتصال العاشق بالمحبوب.

ثم يقول حضرته أن سراج الوحي قد أشعل بذلك الزيت.. وهذا يحل عقدة صعبة لم يستطع حلها علماء "الباراسيكولوجي" منذ زمن طويل. في بعض الأحيان، وبدون الوحي، يمكن لقلب الإنسان الذى ليست فيه كدورة كثيرة.. أن يتوقد في بعض المجالات وكأنه يرى بالوحي أشياءً لا يراها الآخرون. كان العلماء يرفضون هذه المسألة ولكنهم بدأوا الآن يعترفون بها سواءً فهموها أم لم يفهموها. هناك علماء بحثوا هذه المسألة في روسيا وفي أمريكا وهنا في جامعة كامبردج أيضاً. وهذه المسألة هي: كيف يدرك الإنسان بدون الحواس الخمسة أشياءً ليس لها رابط بالحواس الخمسة. مثلا هل يرى الإنسان مشهدا بدون الضوء؟ هذا أمر غير مقبول علميا. ولكن إذا أغلق أحدٌ عينيه ورأى حدثا يجري في الصين، ثم لو ثبت بعد التحرى أن هذا الحادث كان بالفعل يجري في الصين ذلك الوقت.. فأهل العلم يقعون في حيرة. ولكن الله تعالى قد زوّد الإنسان بالقدرة التي تتيح له الاتصال بنوره. إن الإنسان بحاجة إلى قوة هذا الزيت الذي يشبه شجرة الزيتون المباركة المشار إليها بالنسبة للنبي ﷺ.

يقول حضرة الإمام المهدي أنه لتلقي الوحي يجب أن يكون زيت فكر الإنسان صافياً ونقيا.. لأن هذا الزيت هو الذى سوف يشتعل بنور الوحي. إذا لم يكن الزيت من هذا النوع فلن يشتعل، ولا يؤثر الوحيُ في إنسان لا يستطيع تقبله. لو نزل الوحي على جبل لتصدّع وتمزّق إربا لأنه غير مهييء له. فلكي تحصل على النور من الوحي، وتنبعث خَلقا جديدا.. لابد أن يكون لفطرتك هذا الزيت الأساسي، ويجب أن يكون شفافاً وصافياً. وكلما كان أكثر صفاء كانت فرصة اشتعاله وإضاءته أكثر عندما يمسه نور الوحي.

يقول حضرة الإمام المهدي: ما هذا الزيت؟ هذا الزيت هو العقل النوراني اللطيف للنبي ﷺ. هذا الذكاء النوراني هو الحاسة السادسة التي تتعلق بكل الحواس الخمس الأخرى. وهذه الحاسة السادسة هي ذروة ما تصل إليه الحواس.. وهي الحقيقة النورانية.

يقول حضرة الإمام المهدي إن الحواس الخمسة للنبي ﷺ كانت أكثر صفاء ولطفا، وكانت نورانية أيضا، وكانت مصقولة لدرجة أن تولّد النور فيها أشد من القدرة العامة للإنسان. ومن الضروري لهذا العقل اللطيف النوراني من أن تصحبه الصفات

لو أن إنسانا فيه حياءٌ وشرف قرأ تفسير حضرة الإمام المهدي لا يمكن أن تخرج منه كلمة من الوقاحة ضد حضرته. حتى لو لم يفهم كل هذه الكلمات.. فإنه على الأقل سوف يعترف بأن هذا الكلام صادر من عارف بالله تعالى.. له اتّصال كامل برسول الله ﷺ كاتصال العاشق بالمحبوب.

الأخلاقية الفاضلة.. التي ترتوي من هذه الينابيع المتدفقة والأنهار الجارية بالنور. وهذا ما تتولد عنه الصفات الأخلاقية، وتنشأ من هذه القدرة الفكرية، فيضيء المصباح بالوحي من الله تعالى.

بوسعكم الآن أن تفهموا اللطائف النورانية التي أدركها حضرة الإمام المهدي من هذا المثل القرآني. وفهم هذه اللطائف أيضا يتطلب نوراً، وعيْناً ترى هذا النور كما كان لحضرة الإمام المهدي. وكل إنسان يحتاج إلى النور ليدرك أن ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾. فالجزء الثاني من الآية يتعلق بعباد الله الذين لا يغلبهم الشيطان، وإنما هم متحررون منه، وعباد الله هؤلاء يستطيعون الحصول على هذا النور من الله تعالى.. لأن نور فطرتهم أيضا يكون مضيئاً، وتكون أخلاقهم أيضا لطيفة، وتكون رحلتهم إلى الله تعالى في كل لحظة بحيث يزدادون صلاحية لتلقي الوحي. ورحلتهم هذه تكون في الصراط المستقيم المتصف بالوسطية.. الذي يُدخل الإنسان في منزلة الأنبياء، وسمّاه الله منزلة: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فهؤلاء عندما يمضون في هذه الرحلة يستخدمون كل ما لديهم من الصلاحيات والقدرات ويترجمونها إلى دنيا الأفعال.. وهذا هو تنزل الوحي.

إن الله تعالى يُنزل وحيه على من يشاء، ولكنه لا ينزله على أحد بلا ضرورة وبدون حكمة، بل يُنزله على من يستحقه، لأن الوحي ليس فيضاً عاماً.. بل هو فيْض خاص لمن رفضوا الشيطان. هذه الأمور لا أشرحها كممارسة عقلية ومتعة ذهنية.. بل هذه ضرورة حقيقية. فما لم تفهموا آداب هذا السّفر في هذا النور، ولم تعرفوا القواعد والقوانين لهذه الرحلة.. لا تستطيعون أن تقوموا بها في اتجاه هذا النور. وسفرنا إلى النور ضرورة قصوى.. لأن القرآن قد بيّن لنا أن خلاصة الدين والسعادة هي أن الله تعالى يُخرج عباده من الظلمات إلى النور.

فيجب ألاّ يقول أحد بأنني أتحدث إلى ذوي الثقافة فقط، بل ما أقوله هو ضرورة مُلحّة لكل إنسان.. يجب ألاّ تعتبروا ما أقوله لطائف علمية، حتى ولو لم تفهموا دقائق الحكمة التي عبر عنها حضرة الإمام المهدي.. فما دام قد شرح لكم هذه الأمور وبسطها فيجب أن تفهموها.

والآن ألخص الخطبة: إن الرحلة إلى النور تتطلّب منا أن نُنقي قلوبنا من الشوائب، وتتطلب منا أن نشرح صدورنا.. في علاقاتنا مع البيت؛ مع المجتمع؛ مع من يتفقون معنا في الآراء؛ ومع من يخالفوننا في الرأي أو الدين. فإذا صار الصدر رحباً لهذه الرحلة فسوف يكون مستعداً لتلقي النور المحمدي.. لأن قلب النبي ﷺ كان جاهزاً لتلقي ما في العالم من آلام. فيجب أن تشرحوا صدوركم وتجعلوها رحبة، وتنقوا قلوبكم من شوائب الدنيا، لأنكم إذا طهّرتم قلوبكم منها فسوف ينصقل نور فطرتكم، وسوف ترونه. ثم ينزل عليكم النور السماوي من السماء، ويكون بكم استعداد لقبول ذلك النور. وهذا ما ذُكر في الآية القرآنية الكريمة، وفي ضوئها قدم حضرة الإمام المهدي تفسيره.

"إن الله تعالى يُنزل وحيه على من يشاء، ولكنه لا ينزله على أحد بلا ضرورة وبدون حكمة، بل يُنزله على من يستحقه، لأن الوحي ليس فيضاً عاماً.. بل هو فيض خاص لمن رفضوا الشيطان"

معجزة علوم القرآن

بقلم: مصطفى ثابت *

تحت سلسلة السيرة الطاهرة يتناول الكاتب سيرة حضرة ميرزا غلام أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام مبرزا الوقائع والأحداث الهامة من حياته الطاهرة

ذكرنا في العدد الماضي كيف أن الله تعالى بخالص فضله قد أصلح عيب الإمام المهدي في ليلة واحدة تحقيقا لما كان رسول الله ﷺ قد أخبر به في حديث له يقول فيه: "يُصلحه الله في ليلة". وقد ذكرنا أن ذلك العيب كان هو عدم القدرة على الكتابة باللغة العربية، الأمر الذي جعل العلماء المعاصرين لسيدنا أحمد عليه السلام يُعيرونه ويسخرون منه ويتعالون عليه بمواهبهم الأدبية. فلما علّمه الله تعالى أربعين ألفا من مصادر اللغة وجذورها في ليلة واحدة، استطاع أن يتفوّق حتى ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ولم يكن الأمر مجرد التفوق في البلاغة، ولكن الأهم هو الإحاطة بعلوم القرآن، والتفاضل في الخبرة بدروب الحكمة ومسالك العرفان، فإن التفسير الصحيح للقرآن أمر لا يعطيه الله تعالى إلاّ لمن زكّى نفسه وطهرها وكان من الصادقين المطهرين، فقد قال تعالى عن القرآن الكريم أنه كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. ولذلك تحدّى سيدنا أحمد عليه السلام جميع المخالفين والمعارضين، من الأدباء والعلماء والمشايخ المتعصبين، أن يكتبوا تفسيرا لسورة الفاتحة، وهي سبعة آيات، في سبعين يوما، وذكر سيدنا أحمد أن العلماء يستطيعون أن يساعدوا بعضهم بعضًا في هذا المجال، ولهم أن يستعينوا بالعلماء والأدباء العرب إذا شاءوا، ولكنه أكّد على أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بتفسير مثل تفسيره، وأنهم سوف ينهزموا جميعا في هذا النضال.

ولكن الباطل لا يريد أن يستسلم بسهولة، فإذا بواحد من أولئك المغرورين الذين يريدون أن يظهروا أمام العامة كأنهم أدباء وفضلاء، وهم ليسوا سوى جهلاء وخبثاء، واسمه المولوي مهر علي، ذهب إلى مدينة لاهور التي تبعد حوالي سبعين ميلا (١١٥ كيلومتر) من قاديان، وأشاع أنه يقبل التحدي، ولكنه اشترط شرطا غريبا، وهو أن يتباحثا أولا قبل كتابة التفسير، ثم يحكم على المباحثة واحد من العلماء الذي كان من أشد أعداء سيدنا أحمد عليه السلام. وطبعا كان يعلم أن سيدنا أحمد لن يقبل هذه الشروط، فيشيع بين الناس أنه هرب من المواجهة.

وكتب سيدنا أحمد تفسيرا رائعا لسورة الفاتحة، سمّاه: «إعجاز المسيح»، ليكون المعجزة التي تقف دائما شاهدة على فضل الله تعالى عليه، وعلى أنه فعلا من عند الله تبارك وتعالى، الذي

* كاتب من مصر الشقيقة

علّمه وأدّبه وآتاه العلم والحكمة. وكتب في مقدمته هذا التحدّي الذي وجّهه إلى مولوي مهر علي وغيره من العلماء، ولنقتطف بعض ما كتبه سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه في هذا الشأن، إذ يقول:

«فحاصل القول.. إن البيان والمعارف من معجزاتي، وإن مرهفاتي آياتي وكلماتي. وكنت دعوتُ بعض أعدائي لإراءة هذه المعجزة، لعل الله يشرح صدورهم أو يجعل لهم نصيبًا من نور المعرفة، فقلت إن كنتم تنكرون بإعجازي، وتصولون عليّ كالغازي، وتظنون أنكم أُعطيتم علم القرآن، وبلاغة سحبان، فتعالوا ندع شهداءنا وشهداءكم، وعلماءنا وعلماءكم، ثم نقعد مقابلين، ونكتب تفسير سورة مرتجلين، منفردين غير مستعينين. فما كان أحدٌ منهم أن يقبل الشرط المعروض، ويتبع الأمر المفروض، ويقعد بحذائي، ويُملي التفسير كإملائي. بل جعلوا يكيدون ليطفئوا النور، ويُكذبوا المأمور.

وكان أحدٌ منهم يُقال له مهر علي، وكان يزعم أصحابه أنه الشيخ الكامل والولي الجلي. فلمّا دعوته بهذه الدعوة، بعد ما ادّعى أنه يعلم القرآن وأنه من أهل المعرفة، أبى من أن يكتب تفسيرا بحذاء تفسيري، وكان غبيًا ولو كان كالهمذاني أو الحريري، فما كان في وسعه أن يكتب كمثل تحريري. ومع ذلك كان يخاف الناسَ، وكان يعلم أنه إن تخلّف فلا غلبة ولا حجاسَ، فكاد كيدًا وقال إني سوف أكتب التفسير كما أشير، ولكن بشرط أن تُباحثني قبله بنصوص الأحاديث والقرآن، ويُحَكّمُ من كان عدوًّا لك وأشد بُغضًا من علماء الزمان. فإن صدّقني وكذّبك بعد سماع البيان، فعليك أن تُبايعني بصدق الجنان، ثم نكتب التفسير ولا نعتذر ونترك الأقاويل، وإنّا قبلنا شرطك وما زدنا إلاّ القليل. هذا ما كتب إليّ وطبعه وأشاع بين الأقوام، واشتهر أنه قبل الشرائط وما كان هذا إلاّ كيدا لإغلاط العوام.

ولّما جاءني مكتوبه المطبوع، وكيده المصنوع، قلتُ إنّا لله ولعنتُ ما أشاع، وتأسّفتُ على وقت ضاع. ثم إنه استعمل كيدًا آخر، ورحل من مكانه وسافر، ووصل لاهور، وأثار النقع كالثور، وأرجَفَت الألسنة أنه ما جاء إلاّ ليكتب التفسير في الفور، فلمّا رأيت أنهم حسبوا الدودة ثعبانا، والشوكة بستانا، قلت في نفسي أن نذهب إلى لاهور فأي حرجٍ فيه، لعل الله يفتح بيننا ويسمع الناس ما يخرج من فينا وفيه، فشاورتُ صحبتي في الأمر، وكشفتُ عندهم هذا السر، واستطلعتُ ما عندهم من الرأي، وسردتُ لهم القصة من المبادي إلى الغاي، فقالوا لا نرى أن تذهب إلى لاهور، وإن هو إلاّ محل الفتن والجور، وقد تبيّن أنه ما قبل الشروط، وأرى الضمور والمقوط، وتشحّط بدمه وما رأى سبيل الخلال إلاّ الشحوط، وهمط وغمط، وما ذبح كبش نفسه وما سمها وما قمط. وإنّا سمعنا أنه ما جاء بصحة النيّة، وليس فيه رائحة من صدق الطويّة، هذا ما رأينا والأمر إليك، والحق ما أراك الله وما رأيت بعينيك.

وكذلك كانت جماعتي يمعنوني ويردعونني، ويُصرّون عليّ ويكفّونني، حتى تلوّيتُ عما نويتُ، وحُبّب إليّ رأيهم فقبلتُ وما أبيتُ، وتركتُ ما أردتُ، وطويتُ الكشحَ عمّا قصدتُ. ثم طفق المخالفون يمدحونه على فتح الميدان، ويطيرونه من غير جناح العرفان، وكانوا يكذبون ولا يستحيون، ويتصلّفون ولا يتقون. ويفترون ولا ينتهون، وينسبون إليه بحار محامد ما استحقّها، وأبكار معارف ما استرقّها. وكانوا يسبّونني كما هي عادة السفهاء، ويذكرونني بأقبح الذكر وبالاستهزاء. ويقولون إن هذا الرجل هاب شيخنا وخاف، وأكله الرعب فما حضر المصاف، وما تخلّف إلاّ لخطبٍ خشًى وخوفٍ غَشًى، ولو بارز لكلمه الشيخ بأبلغ الكلمات، وشبّح رأسه بكلام هو كالصَفات في الصِفات. وكذلك كانوا يهذرون، ويستهزءون بي ويسبّون.

ووالله لا أحسب نفسي إلاّ كميْتٍ تُرّبَ، أو كبيتٍ خُرّبَ، والناس يحسبونني شيئًا ولستُ بشيء، وما أنا إلاّ لربي كفيء، وما كان لي أن أبارز وأدعو العدا، ولكن الله أخرجني لهذا الوغى، وما رميتُ إذ رميتُ ولكن الله رمى. ولي حبٌّ قدير وإعانته تكفيني، ومِتٌّ فظهر الحِبُّ بعد تجهيزي وتكفيني، ووهب لي بعد موتي كلامًا كالرياض، وقولاً أصفى من ماء يسيح في الرضراض، وحجّة بالغة تلدغ الباطل كالنضناض، وكلها من ربي وما أنا إلاّ خاوي الوفاض، وأُمرتُ أن أنفق هذه الأموال على الأوفاض، وأن أرُمّ جدران الإسلام قبل الانقضاض. ومن بارزني فقد بارز الله رب العالمين، وما جئتُ إلاّ بزي المساكين، وما أجيز حزنا من حولي، ولا بطنًا من جولي، بل معي قادري يواري عيانه، ويُري برهانه. فلأجل

ذلك تحامت العدا عن طريقي، وقطّعت النحور والأعناق من منجنيقي، وما لأحد بمقاوميّ يدان، ويدي هذه تعمل تحت يد الله الرحمان. نزلت عليّ بركاتٌ هي حرز للصالحين، فجمعتُ بها لنفسي التحصين والتحسين.

ومن نوادر ما أُعْطَى لي من الكرامات، أن كلامي هذا قد جُعل من المعجزات، فلو جَهّز سلطانٌ عسكرًا من العلماء، ليبارزوني في تفسير القرآن ومُلَح الإنشاء، فوالله إني أرجو من حضرة الكبرياء، أن يكون لي غلبة وفتحٌ مبينٌ على الأعداء. ولذلك بثثتُ الكتب وأشعتُ الصحف النخب في الأقطار، وحثثتُ على هذه المصارعة كل من يزعم نفسه من أبطال هذه المضمار، وما كان لأحد من علماء هذه الديار، أن يُبارزني فيما دعوتهم بإذن الله القهّار.... وما حملني على ذلك إلاّ قصد إفشاء كذب هذا المكّار، فإنه مكر مكرًا كُبّارًا وأظهر كأنه من العلماء الكبار، وادّعى أنه يعلم القرآن، وفاق الأقران، وحان أن يَغلب ويُعان. والغرض من تفسيري هذا تفريق الظلام والضياء، وإراءة تضوّع المسك بحذاء جيفة البيداء، وإظهار خدع الخادع ومواسات الرجال والنساء، والاشفاق على العُمي ومُتّبعي الأهواء، وقضاءُ خطبٍ كان كحق واجب ودَيْن لازم لا يسقط بدون الأداء، فهذا هو الأمر الداعي إلى هذه الدعوة، مع قلّة الفرصة، ليكون تفسير الفرقان فرقانا بين أهل الهدَى وأهل الضلالة، ولولا التصلّف وتطاول اللسان، وإظهار شجاعة الجنان من هذا الجبان، لمررتُ بلغوه مرور الكرام، وما جعلته غرض السهام، ولكنه هتك ستره بيديه، فكان منه ما ورد عليه....

ولا يخفى أن القادر على تفسير القرآن، يفرح كل الفرح عند السؤال عن بعض معارف الفرقان، فإنه يعلم أن وقت اشراق كوكبه جاء، وحان أن يُعرَف ويُخزى الأعداء، فلا يحزن ولا يغتمّ إذا دُعِي لمقابلة، ونودي لمناضلة، بل يزيد مسرّة ويحسبها لنفسه كبشارة، أو كتفاؤل لإمارة، فإن العالم الفاضل لا يُقَدّرُ حق قدره، إلاّ بعد رؤية أنوار بدره، ولا يخضع له الأعناق بالكلية، إلا بعد ظهور جواهره المخفية.

وإنّا اخترنا الفاتحة لهذا الامتحان، فإنها أمّ الكتاب ومفتاح الفرقان، ومنبع اللؤلؤ والمرجان، وكوكنة لطير العرفان. وليكتب كلٌّ منّا تفسيرها بعبارة تكون من البلاغة في أقصاها، وتُنير القلب وتُضاهي الشمس في معناها، ليرى الناس من اقتعد منّا غارب الفصاحة، وامتطى مطايا الملاحة، وليُعرفَ أريبٌ حداه العقلُ إلى هذا الأرب، ويُعلَمَ أديبٌ ساقه الفهم إلى رياض العرب، وليُضمِرُ كلّ منّا لهذا المراد، كل ما عنده من الجياد، ويفري كل طريق من الوهاد والنجاد، بزاد اليراع والمداد، ليشاهد الناس مَنْ تُداركه العناية الإلهية، وأخذ بيده اليد الصمدية. ومن كان يزعم نفسه أنه هو العالم الربّاني، فليس عليه بعزيز أن يكتب تفسير السبع المثاني، مع رعاية مُلَح الأدب وشوارد المعاني، ثم إني أرخيتُ له الزمام كل الإرخاء، ووسّعتُ له الكلامَ لتسهيل الإنشاء، وكتبتُ من قبلُ في صحيفة أشعتُها، ونميقةٍ إليه دفعتها، أن ذلك الرجلَ الغُمُرَ إن لم يستطع أن يتولى بنفسه هذا الأمر، فله أن يُشرك به من العلماء الزمر، أو يدعو من العرب طائفة الأدباء، أو يطلب من صلحاء قومه همّةً ودعاءً لهذه اللأواء، وما قلتُ هذا القول إلاّ ليعلم الناس أنهم كلهم جاهلون، ولا يستطيع أحدٌ منهم أن يكتب كمثل هذا ولا يقدرون.....

ثم من المُسَلّم أن الله يُربي عقول الصالحين، ويُسعدهم بالهداية إلى طرق الروحانيين، ويُذكّرهم إذا ما ذهلوا معارف كلام الله القدّوس، ويُنزل السكينة عند الزلزال على النفوس، ويؤيّدهم بروحٍ منه، ويُعضد بالإعانة على الإبانة، ويتولى أمورهم ويُميّزهم بالحصات والرزانة، ويَعصمهم من الغواية ويحفظهم في الرواية والدراية، فلا يقفون موقف مندمةٌ، ولا يرون يوم تندّم ومنقصة، ولا تغرب أنوارهم، ولا تخرب دارهم. منابعهم لا تغور، وصنائعهم لا تبور، ويُؤَيّدُون في كل موطن ويُنصرون، ويُرزَقون من كل معرفة ومن كل جهل يُعدون. ولا يموتون حتى تُكَمّل نفوسهم.. فإذا كُمّلت فإلى رَبهم يُرجَعون، فإن الله نورٌ فيميل إلى النور، وعادته البَدور إلى البدور. ولّما كانت هذه عادة الله بأوليائه، وسُنّته بعباده المنقطعين وأصفيائه، لزم أن لا يرى عبده المقبول وجه ذلّة، ولا يُنسب إلى ضعف وعلّة، عند مقابلة من أهل ملّة، ويفوق الكلَ عند تفسير القرآنَ بأنواع علم ومعرفة. وقد قيل أن الوليّ يخرج من القرآن والقرآن يخرج من الولي، وإنّ خفايا القرآن لا يظهر إلاّ على الذي ظهر من يَدَيِ العليم العليّ.

فإن كان رجلٌ ملك وحده هذا الفهم الممتاز، فمثله كمثل رجل أخرج الرُكاز، وما بذل الجهد وما رأى الارتماز، فهو وليّ

الله وشأنه أعظم وذيله أرفع من همز الهمّاز، ولمز اللمّاز، وما أُعطِي هذا الوليّ الفاني من معارف القرآن كالجَهَاز، فهو معجزة بل هو أكبر من كل نوع الإعجاز. وأيّ معجزة أعظم من أعجازٍ قد وقع ظل القرآن، وشابه كلام الله في كونه أبعد من طاقة الإنسان؟ وليس هذا الموطن إلاّ للمتّقين، ولا تُفتح هذه الأبواب إلاّ للصالحين، ولا يمسّه إلاّ الذي كان من المُطَهّرين، وإن الله لا يهدي كيد الخائنين....

ومن لم يعلم القرآن، وما أوتي البيان، فهو شيطان أو يُضاهي الشيطان، وما عرف الرحمان، وما كان لفاسق أن يبلغ هذه المنية العليّة، ولو شحذ إليها النفس الدنيّة. بل هو يختار طريق الفرار، خوفًا من هتك الأسرار، وظهور العثار. وكذلك فَعَلَ هذا الرجل الكائد، والْمُزَوّرُ الصائد، فانظروا كيف زوّر، وأرى التهوّر، وقال لبّيْتُ الدعوة وما لبّى، وقال عبّيتُ العسكر للخصام وما عبّى، وما بارز بل خدع وخبّ، وإلى جُحرهِ أبّ، وتراءى مَخيفا ضعيفا وكان يُري نفسه رجلاً ببّا، وأخلد إلى الأرض وشابه الضبّ، وما صعد وما وثب، وجمع الأوباش وما دعا الربّ، وحقّرني وشتم وسبّ، وتبع الحيَل وما صافى الله وما أحبّ، وما قطع له العُلَق وما جبّ، وقال إني عالم والآن نجم علمه أزبّ، وكلّ ما دبّر تبّ. وإن كان عالمًا فأي حرج على عالم أن يُفسّر سورة من سور القرآن، ويكتب تفسيره في لسان الفرقان، بل يُحمد لهذا ويُثنى عليه بصدق الجنان، ويُعلَم أنه من رجال الفضل والعلم والبيان، ويُشكر بما ينفع الناس من معارف عُلّم من الرحمان، فلذلك أقول أنه من كانَ يدّعي ذُرَى المكان المنيع، فليبذل الآن جهده المستطيع، ويُثبّت نفسه كالضليع، ولا شكّ أن إظهار الكمال من سيرة الرجال، وعادة الأبطال، لينتفع به الناس وليُخرَجَ به مسكينٌ من سجن الضلال، ولا يرضى الكامل بأن يعيش كمجهول لا يُعرف، ونكرة لا تُعَرّف، وإن الفُضُل لا تتبيّن إلاّ بالبيان، ولا يُعرف الشمس إلاّ بالطلوع على البلدان.

وإني ألزمتُ نفسي أن أكتب تفسيري هذا في إثبات ما أُرسلتُ به من الحضرة،، وأن أفتح هذه الأبواب بمفاتيح الفاتحة، مع لطائف البيان ورعاية المُلَح الأدبية، والتزام الفصاحة العربية. ومن المعلوم أن نمق الدقائق الدينية، والرموز العلميّة، والإيماضات والإشارات، مع توشيح العبارات، وترصيع الاستعارات، والتزام محاسن الكنايات، وحسن البيان ولطائف الإيماءات، أمرٌ قد عُدّ من المعضلات، وخطبٌ حُسبَ من المشكلات، وما جمع هذين الضدّين إلاّ كتاب الله مظهر الآيات البينات، وماحي الأباطيل والجهلات. وإنّ الشعراء لا يملكون أعنّة هذه الجياد، فتنتشر كلماتهم انتشار الجراد، ولكني سألتُ الله فأعطاني، وجئته عطشان فأرواني، فنحن الموفّقون، ونحن المؤيّدون. تُواتينا الأقلام، كأنها السهام والحسام، ولنا من ربنا كلام تام، وظل ظليل، فكل رداء نرتديه جميل، ولنا جبلّة لا تبلغها الجُهّال، وقوّةٌ لا تُعجزها الأثقال، وحالٌ لا تُغَيّرها الأحوال، وربٌّ لا تُرَدّ من حضرته الآمال.

فحاصل الكلام أني من الله وكلامي من هذا العلاّم، وإني كتبتُ دعواي ودلائلها في هذا الكتاب، لأُسعف الخصم بحاجته وأُنجّيه من الاضطراب. فإن الخصم كان يدعوني إلى المباحثات، بعد ما دعوته لنمق التفسير في حلل البلاغة ومحاسن الاستعارات. فلمّا لويتُ عذاري وتصدّيت لاعتذاري من المناظرات، حمل إنكاري على فراري من هذه الغزاة، وما كان هذا إلاّ كيدًا منه وحيلةً للنجاة، ليستعصم من اللائمين واللائمات، وكان يعلم أن إعراضي كان لعهدٍ سبق، وما كنتُ كعبدٍ أبق، ولكنه طلب الفرار بهذه المعاذير الكاذبة، لعل الناس يفهمونه بطل المضمار ومُتمّ الحجة، فأردنا الآن أن نُعطيه ما سأل ولا نردّه بالحرمان، ونُجَلّي مطلع صدقنا بنور البرهان، ونقطع معاذيره كلها بسيف البيان، لعلّ الله يجلو به صداء الأذهان، ويُفَهّم ما لم يفهموه قبل هذا الميدان. فهذا هو السبب الموجب لنمق الدعوى والدلائل، لئلا يبقى عذر للسائل، وإن هذا التفسير جمع المباحثات، مع اللطائف والنكات، فاليوم أدرك الخصم كل ما طلب منّا في حُلل المناظرات، مع أنه ترك طرق الديانات، وتصدى للأمر بأنواع الاهتضام والخيانات، وبقي دَيْنُنا فعليه أن يقضي الدَيْن كرد الأمانات. وإني عاهدتُ الله أن لن أحضر مواطن المباحثات، وأشعتُ هذا العهد في التأليفات، فما كان لي أن أنكُث العهود، وأعصي الربّ الودود. فلأجل ذلك أغلقتُ هذا الباب، وما حضرتُ الخصم للبحث ولو عيّيني واغتاب، وإني كلّمته كالخليط فكَلِمني بالتخليط، وقد دعوتُه من

قبل ففرّ من شوكتي، ثم دعوتُ فهابَهُ هيبتي، وهذه ثالثة ليتم عليه حجّة الله وحُجّتي. إنه مال إلى الزُمر وملنا إلى الدَّمار، وإن المعارف منّا كبعوث جُمّروا على الثغور من قِبَلِ ملك الديار.

ثم اعلموا أن رسالتي هذه آية من آيات الله رب العالمين، وتبصرة لقوم طالبين، وإنها من ربي حجة قاطعة وبرهان مبين. كذلك، ليذيق الأفّاكين قليلا من جزاء ذنوبهم، ويُرِي الناس ما ترشّح من ذَنوبهم، ويُجنّبهم بمعجزة قاهرة، ويزيل اضطجاع الأمن من جنوبهم، ويستأصل راحة كاذبة من قلوبهم.

والحق، والحق أقول، إن هذا كلام كأنه حسام، وإنه قطع كل نزاع وما بقى بعده خصام، ومن كان يظنّ أنه فصيح وعنده كلام كأنه بدر تام، فليأت بمثله والصمتُ عليه حرام، وإن اجتمع آباؤهم وأبناؤهم، وأكفّاؤهم وعلماؤهم، وحكماؤهم وفقهاؤهم، على أن يأتوا بمثل هذا التفسير، في هذا المدى القليل الحقير، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ كالظهير. فإني دعوتُ لذلك وإن دُعائي مُستجاب، فلن تقدر عل جوابه كُتّاب، لا شيوخ ولا شاب.

وإنه كنز المعارف ومدينتها، وماء الحقائق وطينتها، وقد جاء ألطف صُنعًا، وأرقّ نسجًا، وأكثر حكمًا، وأشرف لفظًا، وأقلّ كلمًا، وأوفر معنًى، وأجلى بيانًا، وأسنى شأنًا. وما كتبتُه من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه اغلاق خزائنه، ومن عنده أسرار دفائنه. جُمِعَت فيه أنواع المعارف ورُتّبت، وصُفّفت شوارد النكات وأُلجمت، من عرفه عرف القرآن، ومن حسبه كذبًا فقد مان. فيه باكورة العرفان، ودقائق الفاتحة والفرقان، فيه بلاد الأسرار وحصونها، وسهل الحقائق وحزونها، وعيون البصيرة وعيونها، وخيل البراهين ومتونها، وذلك من بركات أمّ الكتاب. وما اطّلعتُ عليها إلاّ بعد تفهيم ربي التوّاب، فإنها سورة لا تطوى عرصتها بانضاء المراكب، ولا يبلغ نورَها نورُ الكواكب. ولمّا كان الظالمون نسبوني إلى الهزيمة، أعوزني فريتهم هذه إلى تفسير سورة الفاتحة، لأُخلّص نفسي من النواجذ والأنياب، فإن صول الكلاب أهون من صول المفتري الكذّاب. وهذا من فضل الله ورحمته ليكون آية للمؤمنين، وحسرة على المنكرين، وحجّة على كل خصم إلى يوم الدين، وهدًى للمتقين. وليعلم الناس أن الفوز بصدق المقال، لا بالتصلّف كالجهال، والفتح بطهارة البال، لا بعَذِرَةِ الأقوال، التي هي كالأبوال، وصلاح الحال بسلاح العلم والكمال، لا بالاحتيال والاختيال. فويلٌ للذين قصدوا الفتح بالمكائد، ورصدوا مواضعها كالصائد. وإن هو إلاّ من أحكم الحاكمين، وينصر من يشاء ويُكفّل الصالحين، فيندمل جريحهم، ويستريح طليحهم، ولا تركد ريحهم، ولا تَخْمُدُ مصابيحهم. ومنصوره يُملأ من علم الفرقان ولسان العرب، كما يُملأ الدلو إلى عقد الكرب، وإنه أنا ولا فخر، وإن دعائي يذيب الصخر، وإنّ يومي هذا يوم الفتح ويوم الضياء بعد الليلة الليلاء. اليوم خرس الذين كانوا يهذرون، وغُلّت أيديهم إلى يوم يبعثون. وكنتُ أطوف حول هذه الأوراق، كسائل يطوف في السكك والأسواق، فأراني الله ما أراني، وسقاني ما سقاني، فوافيتُ دروبها كما هداني، وأُعطَى لي ما سألتُ، وفُتح عليّ فحللتُ، وكل ما رقّمتُ فهو من أنفاس العلاّم، لا من أفراس الأقلام، فما كان لي أن أقول إني أعلم من غيري، أو زاد منهم سيري، ولا أقول أن روحي التفّ بأرواح فتيان كانوا من الأدباء، أو غالت نفسي جميع نفائس الإنشاء، ولا أدّعي أني انتهيت إلى فناء منتهى الأدب، أو أكلتُ كل باكورة من المعاني النخب، بل دعوتُ مُخدّراته فوافتني فتياته فقبلهن فتاه مفترّة شفتاه، متهللاً مُحيّاه، فلا تستطلعوني طِلع أديب، وما أنا في بلدة الأدب إلاّ كغريب، وكل ما ترون مني فهو من تأييد ربي، ومن حضرةٍ ألقيتُ بها جِراني وحملتُ إليها إربي، وإنه في العُقبى وهذه حبّي. وإني مسيحه وحماري حمارة حفظه ولطفه قُتبي، ولولا فضل الله ورحمته لكان كلامي ككلم حاطب ليل، أو كغثاء سيل. ووالله إني ما قدرتُ على هذا بقريحةٍ وقّادة، بل لفضلٍ من الله وسعادة، وإن هذه المخدّرة ما سَفَرَتْ عن وجهها بيدي القصيرة، ولكن بفضل الله وعناياته الكثيرة، فإنه رأى الإسلام كسقيم في موماةٍ، فيه رمق حياة، ساقطًا على صلاتٍ كقذائف فلوات، وعلاه صغار، وعليه أطمار، فأدركه كإدراك العهاد، لسنة جماد، ورحض وجهه وأزال وسخ مئين، وصب عليه الماء المعين، فبعث عبدًا من عباده لإتمام الحجة، وأودع كلامه إعجازًا ليكون ظلاّ للمعجزة النبوية، عليه ألوف الصلاة والتحية، ولا يمس منه

منقصة شأن كلام رب الكائنات، فإن الكرامات أظلال للمعجزات. وكذلك دمّر الله كل ما دمّر العدا كالصائد، وهدم كل ما بنوا من المكائد، وأبطل كل ما حققوا مكيدةً، وأخّر كل ما قدموا حربةً وعطّل كل ما نصبوا حيلة، وهدّم كل ما أشادوا بروجًا مشيدة، وأطفأ كل ما أوقدوا نارًا، وأغلق الدروب كلما أرادوا فرارًا، فما كان بوسعهم أن يبارزوا كأبطال المضمار، أو يخرجوا من هذا السجن بتسوّر الخنادق والأسرار. وما قدّموا قدمًا إلاّ رُجعوا بأنواع النكال، حتى جاء وقت هذا التفسير الذي هو آخر نبل من النبال، وإنّا كمّلناه بفضل الله ذي الجلال، وجاء أرسى من الجبال، وصار كحصن حصين بُني بالأحجار الثقال، وإنه بلغ حدّ الإعجاز من الله الفعّال، وإنه محفوظ من قصد العدوّ المدحور الضّال، وانتصفنا به من العدا بعض الانتصاف، وكسرنا خيامًا ضربوها وقبايا نصبوها في المصاف، وكان هذا الأمر صعبا ولكن الله ألان لي شديدًا، وأدنى إليّ بعيدًا، ونقل العدوّ من السعة إلى المضايق، وأعمى أبصاره وصرف همته عن العلوم الحقايق، وألقى الرعب في قلوبهم، وأخذهم بذنوبهم فنبذوا سلاحهم، وتركوا لقاحهم، وأنفدوا وجاحهم، وقوّضوا قباهم، ونثلوا جعابهم، ونفضوا جرابهم، وأروا من العجز أنيابهم. وأذن لهم أن يأتوا بجميع جنودهم من خيلها ورجلها، وحفلها وجحفلها، وزمرها وقوافلها، فصاروا كميت مقبور، أو زيت سراج احترق وما بقى معه من نور. وسكّتنا من بارز من صغيرهم وكبيرهم، وأوكفنا من نهق من حميرهم، فما كانوا أن يتحركوا من المكان، أو يميلوا من السنة إلى السنان، بل جرّبنا من شرخ الزمن إلى هذا الزمان، إن هؤلاء لا يستطيعون أن يبارزونا في الميدان، وليس فيهم إلاّ السب والشتم قاعدين في الحجرات كالنسوان. يفرّون من كل مأزق، ويتراءى أطمارهم من تحت يلمق، ثم لا يقرّون ولا يتندّمون، ولا يتقون الله ولا يرجعون. فهذا التفسير عليه سهم من سهام، وكَلْمٌ بكلام، لعلهم ينتبهون، وإلى الله يتوبون. وإنّا شرطنا فيه أن لا يجاوز فريق منّا سبعين يومًا، ومن جاوز فلن يُقبل تفسيره ويستحق لومًا، وكذلك من الشرائط أن لا يكون التفسير أقل من أربعة أجزاء، وهذه شروط بيني وبين خصمي على سواء، وقد شهرناها من قبل وبلّغناها إلى الأحباب والأعداء، بعد الطبع والإملاء. والآن نشرع في التفسير بعون الله النصير القدير، ورتبناه على أبواب لئلاّ يشق على طُلاّب. ومع ذلك سلكنا مسلك الوسط ليس بإيجاز مُخلّ، ولا إطناب مُملّ، وإنه له عن هذا العاجز كالعجزة، وأُخرج من رحم القدر برحم من الله ذي العزّة، في أيام الصيام وليالي الرحمة. وسمّيتُه «إعجاز المسيح في نمق التفسير الفصيح»، وإني أُريتُ مبشرةً في ليلة الثلاثاء، إذ دعوتُ الله أن يجعله معجزة للعلماء، ودعوتُ أن لايقدر على مثله أحدٌ من الأدباء، ولا يُعطى لهم قدرة على الإنشاء، فأجيب دعائي في تلك الليلة المباركة من حضرة الكبرياء، وبشّرني ربي وقال: (مَنَعَهُ مَانِعٌ مِنَ السَّمَاءِ)، ففهمت أنه يشير إلى أن العدا لا يقدرون عليه، ولا يأتون بمثله ولا كصفتيه، وكانت هذه البشارة من الله المنّان، في العشر الآخر من رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، ثم بعد ذلك كُتب فيه هذا التفسير، بعون الله القدير.

رب اجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، واجعله كتابًا مُباركًا وأنزل بركاتٌ من لدنك عليه، فإنّا توكلنا عليك، فانصرنا من عندك وأيّدنا بيديك. وكفّل أمرنا كما كفلتَ السابقين من الصالحين، واستجب هذه الدعوات كلها وإنّا جئناك متضرعين، فكن لنا في الدنيا والدين. آمين.» (الخزائن الروحانية: الجزء ١٨ - مقدمة كتاب إعجاز المسيح: ص٢٣-٧٠)

هكذا كان التحدّي واضحا: «... وإن اجتمع آباؤهم وأبناؤهم، وأكفّاؤهم وعلماؤهم، وحكماؤهم وفقهاؤهم، على أن يأتوا بمثل هذا التفسير، في هذا المدى القليل الحقير، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ كالظهير. فإني دعوتُ لذلك وإن دُعائي مُستجاب".

وغني عن البيان طبعا أن نقول أن أحدًا لم يجرؤ على قبول التحدّي، لا من علماء الهند ولا من العرب، وقد طُبع ونُشر هذا الكتاب الفريد في سبعين يوما وفي رمضان عام ١٣١٨ هجريا الموافق شهر فبراير (شباط) ١٩٠١، أي في العام الأول من القرن العشرين، ومع ذلك فإن هذا القرن يكاد أن ينقضي وما زال التحدّي قائما، وما زال فشل المخالفين ثابتا واضحا، وسوف يظل كذلك إلى يوم الدين، لأن الله يُخزي الكذابين والمفترين، وينصر عباده الصادقين المخلصين، فهل بعد ذلك من شك في صدق الإمام المهدي.. إمام المتقين الصادقين؟

(يُتبع)

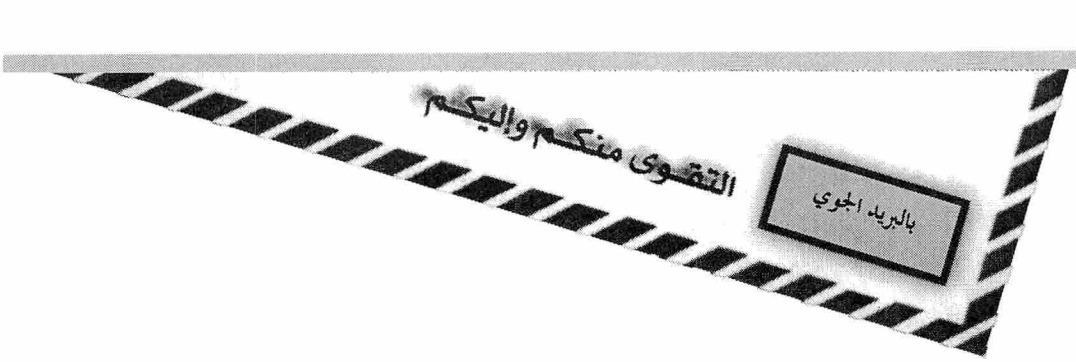

- ترحب مجلة التقوى في هذه الزاوية (منكم وإليكم) بجميع المساهمات من قرائها الكرام وسنحاول إن شاء الله نشر أكبر عدد ممكن من المساهمات على صفحاتنا مع التنويه أن هذه المساهمات تعبر عن آراء القراء وليس بالضروري عن رأي المجلة.
- نرجو من جميع القراء كتابة مساهماتهم وآرائهم بخط واضح وعلى وجه واحد للورقة أو طباعتها على الكمبيوتر إذا أمكن ذلك.
- نرحب بالمساهمات على عنواننا أو على البريد الإلكتروني.

The Editor AL Taqwa, P.O.Box 12926, London SW18 4ZN (U.K)
E- Mail: emaan@dircon.co.uk

اعتراض على مجلة التقوى

وصل إلى مجلة التقوى هذا الاعتراض من الصديق ح. ق. من سوريا، يقول فيه:

"مع احترامي الشديد لمن كتب النص موضوع "الصبغة الإلهية" (عدد مايو/ أيار ١٩٩٧) أرجو التفضل بقبول أحد الاقتراحين:

١- إتلاف العدد كاملا وإعادة طبعه بعد تعديل المقال في جذوره، فإن في هذا إساءة شديد لنظرة المتربصين بالجماعة الأحمدية، وسيكون لهم حجج وسوف نعطيهم فرصة لتكفير الجماعة.

٢- إصدار ملحق مع العدد ملصوق على نفس الصحيفة فيه توضيح للمقال فيما يستطيع العبد الاتصاف به بصفة الخالق وما لا يستطيع على اختلاف وشساعة الصفات.

ثم يقول:

هناك نوعين من الصفات الربانية:

أ- صفات يختص بها الخالق وليس لسواه أن يتصف بها أو يتمثل بها، وتلك الصفات نذكر منها على سبيل المثال: الرزّاق - الوهاب - المهيمن - القدوس - السلام - العظيم - المحيي - المميت..

ب- صفات يختص بها الخالق ويحب عبده الذي يحاول الاتصاف بها على مستوى العبودية لا الربوبية. مثال: الله رحيم: ويحب عبده المتصف بالرحمة. الله (الحليم): ويحب عبده الحليم والمتصف بالحلم. الله (السلام): ويحب عبده المتصف بالسلام. ولكن مهما حاول العبد التمثل بتلك الصفات فلا يمكن أن تصل صبغته وصفته لصفة الله عز وجل، فمهما تمثل الإنسان بالحلم لا يمكن أن يصل بحلمه إلى حلم الله عز وجل.

وخلاصة: لا يستطيع العبد أن يشترك مع الله سبحانه وتعالى ولا بصفة واحدة، وشتّان بين الخالق والمخلوق. فالذي ورد في النص ص ٥ عندما ذكرتم: الله ستّار وشكور

ووهاب ورزاق كذلك يمكن للإنسان أن يكون في دائرته واستطاعته ستارا وشكورا ووهابا ورزاقا.

حتى ولو أخذنا المعنى على دائرة البشر والعباد المخلوقين فلا يمكن لبشر أن يكون رزاقا ولا بأي صورة حتى ولو كانت على مستوى دائرة البشر مع بعضهم.. كذلك وهابا، وما إلى ذلك.

وهناك صفات ربانية تقابلها صفات بشرية على الأرض لمن أراد التقرب إلى الله وإرضائه، فصفة الله سبحانه (البصير) يقابلها على مستوى العبد أن يكون متبصرا مدركا مفكرا. وصفة الله سبحانه (السميع) وهذه الصفة العامة الشاملة في سمع وإدراك كل ما له صوت أو حتى من دون صوت كدعاء القلب أو نية العقل.. فهذا هو السمع المطلق، فيمكن للعبد أن يكون سامعا ويتصف بالسمع وفهم من حوله وشتان بين سمع الله وعبده.

أما تلك الحشرات والفراشات المتلوّنة بلون الوسط الذي تعيشه فذلك ليس من فعلها حتما إنما وهبة الله لها لمساعدتها على إخفاء نفسها من قبضة أعدائها..

وتتساءل في النص: هل نحن أضعف شأنا من تلك الحشرات؟ والحق يُقال أننا أضعف منها (فهي) تقوم بتحويل لونها (وهذا) ليس من ابتكارها ولا من صنعها، إنما من صنع الله، وتلك الحشرات ما هي إلاّ مخلوقات فقط لا تملك سوى أن تستخدم أعضاءها كما اعتادت. وتفضلوا بقبول التحية."

وقد أحلنا رأي الصديق ح.ق. من سوريا إلى الأستاذ "أبو خالد" من كندا فكتب يقول: إنني أشكر الصديق ح.ق. على غيرته الشديدة التي أبداها وحرصه على ألا يشوب مجلة التقوى أية شائبة. غير أني أريد أن أطمئنه بأن الجماعة الإسلامية الأحمدية، ومجلة التقوى التي تصدر عنها، هي أحرص من على ظهر هذه الأرض على توحيد الله تعالى وتنزيه صفاته، وفي سبيل ذلك فقد لاقت الجماعة الأذى الشديد، والاضطهاد الفظيع، والمعارضة العاصفة، والعداوة والبغضاء، والصدّ والتكفير.. إلى آخر هذه القائمة الكريهة من الأعمال التي عادة ما يقوم بها أعداء الأنبياء. وبالتالي فإننا لا نهتم كثيرا بما يقوله أو يفعله **"المتربصون بالجماعة الأحمدية"**، لأن اهتمامنا الأكبر هو نحو ما يقوله الله تعالى وما يفعله بنا، وإذا كنا عند الله تعالى من المؤمنين المخلصين، فلا يهمنا تكفير أو **"نظرة المتربصين بالجماعة الأحمدية"**، ولا يهمنا تلك **"الحجج"** التي **"تعطيهم فرصة لتكفير الجماعة"** كما يقول الصديق ح.ق.

ثم نأتي إلى المقال الذي يظن الأخ العزيز أن به **"إساءة شديدة لنظرة المتربصين بالجماعة الأحمدية"**. يقول المقال:

«ومن معاني "صبغة الله" الاصطباغ بصبغته، فالمعنى أن عليكم أن تتصفوا دائما بالصفات الإلهية، وتنظروا باستمرار هل أصبحتم مظاهر لصفات الله أم لا؟

الحق أن الإنسان لم يُخلق إلاّ للاتصاف بصفات الله وأن يكون مظهرا لها، وقد أودع الله الفطرة الإنسانية استعدادا لهذا الغرض. ليس هناك إنسان يستطيع القول أنه ليس عنده الاستعداد ليكون مظهرا لصفة الربوبية أو الرحمانية أو الرحيمية أو المالكية. وهناك حديث يشير إلى هذا المعنى فيقول الرسول ﷺ: "خلق الله آدم على صورته" (البخاري)، والظاهر أن الله تعالى ليست له صورة مادية، ولا يقول الإسلام بذلك. فالمراد من الحديث أن الله أودع آدم استعدادا وصلاحية ليكون مظهرا لصفاته جل وعلا، فلا يمكن لإنسان أن يقول أنه لا يستطيع أن يكون مظهرا لصفات الله. بل كما أن الله ستار وشكور ووهاب ورزاق.. كذلك يمكن للإنسان أن يكون في دائرته واستطاعته ستارًا وشكورًا ووهابًا ورزاقًا.»

ولعل الأخ ح.ق. يظن أن "المتربصين بالجماعة الأحمدية" قد يسيئوا فهم هذا الكلام، حيث أنهم لا يعتبرون أن الإنسان يمكن له أن يكون في دائرته واستطاعته ستارًا أو شكورًا أو وهابا أو رزاقا كما هو شائع بين عامة المسلمين. ولا شك أن الأخ ح.ق. لحرصه الشديد على مجلة التقوى، يشوبه القلق من وقوع سوء الفهم بسبب المفهوم العام الذي انتشر بين عامة المسلمين عن صفات الله تعالى، وهو أن هذه الصفات خاصة بالله تعالى فليس للبشر أن يتصفوا بها أو حتى أن يحاولوا الاتصاف بها. وهم قد أقنعوا أنفسهم أن الله تعالى.. الذي لا تحد قدرته حدود.. ليس له من الصفات غير تسع وتسعين صفة، وهذه الصفات خاصة به وحده، وليس لأحد أن يتصف بها غيره. ومع ذلك فهم يقولون أنهم يؤمنون بالله ويعبدونه ويوحّدونه، فكيف يؤمنون بإله لا يعرفونه، وهم حتما لا يعرفون الله إلاّ إذا عرفوا صفاته، وهم لا يعرفون صفاته حق المعرفة إلاّ إذا خبروها وجربوها وذاقوا حلاوتها واستمتعوا بجمالها، وعرفوها معرفة المجرب وليس مجرد معرفة من يسمع عنها.

إن الإيمان بوجود الله عند عامة المسلمين يبدو وأنه قد صار مثل الإيمان بوجود مدينة

من المدن، ولتكن مدينة "بادن" مثلا في سويسرا، نعم.. هم على يقين أن مدينة بادن موجودة، وأنها مدينة جميلة وفيها مناظر طبيعية خلابة ولها رونق وجمال يأخذ بالقلوب، وذلك لأنهم سمعوا عنها من الناس أو من وسائل الإعلام أو من قراءة الكتب. ويبدو أن هذا بالضبط هو مقدار إيمان الناس بالله تعالى الذي هم أيضا على يقين من وجوده، وأنه يتصف بتسع وتسعين صفة، وأن صفاته جميعا كاملة ومنزهة، لأنهم سمعوا عن الله من الآباء أو من المجتمع أو من قراءة الكتب. ولكن.. كما أن أولئك الذين هم على يقين بوجود مدينة بادن في سويسرا، لا يعرفونها حق المعرفة لأنهم لم يجربوا بأنفسهم الاستمتاع بجمال صفاتها، فكذلك أولئك الذين يظنون أنهم على يقين بوجود الله، غير أنهم لا يعرفونه حق المعرفة لأنهم لم يجربوا بأنفسهم أن يتخلقوا بجمال صفاته وجلالها، ولا ذاقوا حلاوة الاتصاف بهذه الصفات.

إن المعرفة القائمة على السماع والاستنتاج فقط هي بلا شك نوع من أنواع المعرفة، ولكنها أقل درجات المعرفة، والإيمان القائم على هذا النوع من المعرفة هو إيمان جاف مصمت، ولا أثر له في النفس غير اكتساب معلومة من المعلومات، تماما كاكتساب معرفة وجود مدينة بادن في سويسرا. وهذا النوع من الإيمان يشترك فيه معظم أهل الأرض، ويشترك فيه أيضا أهل الأديان عموما الذين يؤمنون كذلك عن يقين بوجود الله، ويعرفون صفاته التي سمعوا عنها من آبائهم ومجتمعهم. ولكن الله تعالى يريد للناس عامة وللمسلمين خاصة، أن يعرفوه ليس فقط معرفة سماع واستنتاج، ولكن معرفة كاملة وحقيقية وعملية. والمعرفة الكاملة كما شرحها سيدنا الإمام المهدي عليه السلام لها ثلاثة مراتب.. هي علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. وقد أوضح أن علم اليقين يمكن أن يكون مبنيا على الاستنتاج، كأن تستنتج وجود النار إذا علمت بوجود الدخان. ثم عين اليقين هو العلم القائم على الرؤية والمعاينة، كأن ترى النار بنفسك فتتيقن من وجودها وتعلم بعض صفاتها. وحق اليقين هو العلم القائم على التجربة، وهو أن تعرف صفات النار وتستشعر هذه الصفات بنفسك، بأن تضع يدك في النار.

والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي كرّمه الله تعالى وشرّفه بأن أودع في فطرته الاستعداد للاتصاف بصفات الله، أو كما حث رسول الله ﷺ بقوله: "تخلّقوا بأخلاق الله"، وأيضا كما سبق الإشارة إلى الحديث الذي ذكره البخاري: "خلق الله آدم على صورته"، أي أنه يشابهه ويماثله في صفاته. هذا هو فضل الله تعالى الذي أسبغه على الإنسان واختصه به حيث قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧١)، وهذا التكريم والتفضيل ليس تفضيلا على الجمادات والنباتات والحيوانات فقط.. بأن جعل الله الإنسان حيوانا ناطقا.. كما يظن بعض الناس، بل هو تكريم وتفضيل على الملائكة أيضا، ومن أجل هذا التكريم والتفضيل أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، ومن أجل هذا التكريم والتفضيل، لم يتمكن جبريل عليه السلام من مصاحبة رسول الله ﷺ في رحلته للقاء الله في المعراج، وإنما قال له: "تقدم أنت يا محمد فلو تقدمت أنا لاحترقت".

ألا ما هو السر في هذا التكريم والتفضيل؟ إنه الاستعداد الفطري الذي خلقه الله في الإنسان وجعل لديه القدرة على الاتصاف بصفات الله تعالى (بالطبع في حدود قدرته واستطاعته ودائرة إنسانيته). ولَكَمْ من مرة شرح الإمام المهدي عليه السلام هذا الأمر، ولَكَمْ من مرة بيّن خلفاؤه الكرام هذه الحقيقة، فضربوا مثال الشمس والمرآة، فكما أن المرآة تعكس صورة الشمس بحيث أن الناظر في المرآة يرى الشمس، إلاّ أن ما يراه الناظر ليس الشمس الحقيقية بل هو مجرّد انعكاس (أو تجلي) للشمس يظهر في المرآة، كذلك فإن الإنسان الكامل يستطيع أن يعكس في نفسه صفات الله تعالى، ولا يعني هذا أنه قد صار مساويا لله في صفاته، فإن هذا المفهوم لا يدور بخلد أحد إلا هؤلاء الذين يظنون أن المرآة قد تساوت مع الشمس لأن الشمس تظهر فيها ظهورا كاملا وواضحا.

هذا هو التكريم والتفضيل الذي اختص الله به الإنسان، ومن أجل ذلك قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٥)، غير أن أولئك الذين لا يحققون الغاية من خلقهم.. أي لا يعملون على الاتصاف بالصفات الإلهية، (بالطبع في حدود قدرتهم واستطاعتهم ودائرتهم الإنسانية)، فإنهم يرتدّون إلى أسفل سافلين، ولذلك جاء الاستثناء: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(التين: ٧)، وهذا الإيمان والعمل الصالح، ليس هو مجرد الإيمان أو حتى اليقين بوجود الله، ذلك الإيمان واليقين القائم على الاستنتاج فحسب، والذي يماثل الإيمان واليقين بوجود مدينة بادن بسويسرا، ولكنه الإيمان واليقين القائم على

التجربة، وذلك بالعمل والجهاد ومجاهدة النفس للاتصاف بصفات الله والتخلق بأخلاقه (وأظن لا داعي لتكرار القول أن ذلك في حدود القدرة والاستطاعة والدائرة الإنسانية).

ولكن.. قد يعترض أولئك الذين "يتربصون بالجماعة الأحمدية" كما يصفهم الأخ ح.ق، فيقولون: من الذي قال أن الغاية من خلق الإنسان هي الاتصاف بالصفات الإلهية؟ ولسرعان ما يستشهدون بالآية التي تقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧)، ويشيرون بذلك إلى أن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله وليس الاتصاف بالصفات الإلهية. وهؤلاء لا يعرفون المعنى الحقيقي للعبادة، فهم يظنون أن العبادة هي مجرد أداء صلوات ينقرونها كنقر الدجاجة، أو صيام يدعو إلى التكاسل والخمول وقلة العمل والإنتاج، أو زكاة يدفعونها عندما يتوفر لديهم المال الذي يحول عليه الحول، أو حج إلى بيت الله يؤدّونه تأدية للفرض المكتوب وأيضا للظفر بلقب "حاج". وحتى لو كان الإنسان يقوم بجميع هذه الفرائض كلها على أكمل وجه، فهذه ليست هي العبادة الحقيقية، وإنما هي وسائل العبادة، وإن جاز أن يُطلق عليها أيضا كلمة عبادة. فما هي العبادة الحقيقية إذن؟

إن كلمة "عبد" في اللغة العربية تُطلق على الإنسان الذي يملكه سيده، والذي لا يملك من أمر نفسه شيئا. ولكن السيد قد يملك أشياء أخرى كثيرة، فهو قد يملك أموالا، وقد يملك بيتا، وقد يملك سيارة، وقد يملك ضيعة، وقد يملك حيوانا الخ.. ولكنه لا يسمي أيّا من هذه الأشياء المملوكة له "عبدا" إلاّ إذا كان يملك كائنا يماثله، أي أن كلمة "عبد" لا تُطلق على أي شيء يملكه السيد إلا على من كانت هناك صفات مشتركة بينه وبين ذلك العبد المملوك، وبالتالي فإن العبودية تدل على المشابهة بين العبد والسيد. وحيث أن الله تبارك وتعالى قد خلق الإنسان ليكون عبدا له، فإنه بذلك يومئ إلى أن الإنسان بعبوديته لله تعالى إنما يستطيع أن يتشبه بالله عز وعلا، أي يتصف بصفاته، أي يتخلق بأخلاقه، أي يصطبغ بصبغة الله، أي تتجلى على العبد الصفات الربانية فيصير بذلك إنسانا ربانيا. وهذا هو الغرض من بعثة جميع الأنبياء.. وهو تحويل الناس إلى ربانيين. يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ **كُونُوا رَبَّانِيِّينَ** بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠)

وكيف يكون الإنسان (في حدود قدرته واستطاعته في دائرته الإنسانية) إنسانا ربانيا؟ لقد أوضح سيدنا رسول الله سيد الخلق وخاتم النبيين هذا الأمر فقال في حديث قدسي: "ما زال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يسعى بها".

والغريب والعجيب.. أن أولئك الذين يصفهم الأخ الكريم ح. ق. بأنهم يتربصون بالجماعة الأحمدية.. يعترضون على إمكانية أن يتصف الإنسان بصفات الله تعالى، ولا يعترضون على قول رسول الله ﷺ أن الله يكون سمع وبصر المؤمن الذي يتقرب إليه سبحانه، بل يكون يده وحتى رجله أو قدمه التي يمشي بها. إن هؤلاء المعترضون لا يعلمون أنه إذا فنا العبد الكامل في طاعة الله سبحانه وتعالى، واصطبغ تماما بصبغته، وتخلّق إلى أقصى حد في نطاق قدرته الإنسانية بأخلاقه عز وجل، فإن صفات الله تتجلى عليه، حتى أن أعماله التي يقوم بها في طاعة الله وتنفيذا لأوامره.. لا تُنسبُ له وإنما تُنسب إلى الله تعالى. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال)، ويقول أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١١)، وفي كلتا الحالتين يجري سياق الكلام عن رسول الله ﷺ، ولكن الله تبارك وتعالى يقول أنه هو الفاعل. وهنا يُبين الله تعالى بصورة عملية معنى ما قاله في الحديث القدسي المشار إليه عاليه.. أي كيف يكون الله يد وقدم عبده المؤمن الذي يحبه، فيشير إلى يد الرسول ﷺ الذي يبايعه الناس فيقول أنها يد الله، وليس معنى هذا بتاتا أن الرسول ﷺ قد صار هو الله أو أن الله قد حلّ فيه، فحاشا لله، وإنما هو قد صار مظهرا كاملا تجلّى الله فيه كما تتجلى الشمس في المرآة، حتى أن يده ﷺ صارت تعبر عن إرادة الله تبارك وتعالى **وكأنها** قد صارت يد الله. بهذا المعنى.. وبمعنى العبودية المشار إليه.. والذي يعني المماثلة والمشابهة بين السيد والعبد، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٤). فهنا يأمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم ﷺ أن يقول للذين أسرفوا على أنفسهم ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ ولا يعني بذلك أن الناس يعبدون النبي من دون الله حتى أنهم صاروا عبادا له، ولكن معنى الآية أن

قل يا أيها الناس الذين تؤمنون بي، وتطيعون أوامري، وتتمثلون بي، وتتّبعون سُنّتي، وتتشبهون بي، وتتخلقون بأخلاقي.. أي قل يا عبادي.. إذا أسرفتم على أنفسكم بسبب ضعف إنساني أو زلة من وسوسة الشيطان، فلا تقنطوا من رحمة الله تعالى فإنه يغفر الذنوب جميعا. وبهذا المعنى للعبودية.. أي معنى المماثلة والمشابهة التامة.. يُسمّي بعض العرب أبناءهم باسم "عبد النبي" أو "عبد الرسول"، وغير العرب يسمون أبناءهم باسم "غلام نبي" أو "غلام رسول" أو غلام محمد" أو "غلام أحمد" كما سُمّي بذلك الاسم الأخير الإمام المهدي والمسيح الموعود مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، فصار بحق اسما على مسمى.

ويظن العامة من المسلمين أن الله تعالى الذي لا تحدّه حدود ليس له غير تسع وتسعين صفة، ولكن.. كيف يكون الله عز وجل غير محدود بينما تكون صفاته محدودة العدد؟ الحق أن صفات الله تعالى غير محدودة أيضا.. غير محدودة في عددها وغير محدودة في نوعها. أمّا هذه الصفات التي اشتهرت عند الناس بأنها تسع وتسعين صفة، فهي تلك التي نستطيع نحن البشر أن نفهمها، وخلقنا الله سبحانه وتعالى لكي نتحلى بجمالها ونتخلق بأخلاقها. خذ مثلا صفة "البصير".. هذه الصفة في الله تعالى غير محدودة، بمعنى أن لا شيء في الكون يغيب عن بصره وإدراكه في أي وقت من الأوقات، والإنسان كذلك يتصف بأنه بصير، ولكن بصره محدود ولا يستطيع أن يرى سوى ظاهر الأشياء ولا يرى بواطنها، ولا يستطيع أن يدرك كل شيء في هذا الكون. فالإنسان إذن ينال قبسا من صفة الله "البصير"، وشتان بين الله البصير والعبد البصير. وخير مثال يُوَضّح هذه المشابهة هو مثال الشمس والمرآة، فالمرآة تُظهر قبسا من نور الشمس، ومن ينظر في المرآة التي تكون في اتجاه الشمس يستطيع أن يرى الشمس، ولكنها ليست الشمس حقيقة التي يراها في المرآة، فالشمس لم تغادر مكانها، ولم تغير حجمها الذي يبلغ مليون مرة حجم الأرض، ومع ذلك فهي تظهر في المرآة الصغيرة. وهكذا صفات الله الحسنى.. إنها صفات لا نهائية.. كمّا ونوعا.. ولكن الله تعالى شاء أن يخلق الإنسان ويضع في فطرته الاستعداد لكي تتجلى فيه هذه الصفات التي ذكرها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وهذا التجلي لا يعدو أن يكون قبسا يظهر في العبد المؤمن كما تظهر الشمس في المرآة.

وعلى هذا.. **"يمكن للإنسان أن يكون في دائرته واستطاعته ستارا وشكورا ووهابا ورزاقا"** كما يقول المقال، أي أن الإنسان يستطيع في حدود قدرته واستطاعته أن يتشبه بهذه الصفات ويتخلق بها. إن الذي يستر عيوب أخيه ولا يتكلم عنه في غيبته بما يسيئ له يكون ستّارا، والذي يُكثر من شكر الناس إذا أحسنوا إليه ويُكثر من شكر الله على فضله وإحسانه يكون شكورا، والذي يهب لأصحابه وأقاربه وجيرانه الهدايا والعطايا ليؤلف بين القلوب يكون وهابا، والذي يفتح المجال أمام الناس للعمل وكسب الرزق ويرزقهم مما رزقه الله يكون رزاقا، وهكذا.. ولكن من المفهوم بالطبع أن هناك بونا شاسعا بين هذه الصفات التي يمكن أن يتصف بها البشر وبين الصفات التي يتصف بها الله سبحانه وتعالى. وأثناء محاورة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الملك.. ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٩)، فهنا لم يعترض سيدنا إبراهيم عليه السلام على قول الملك (أنا أحيي وأميت)، وإنما أدرك على الفور أن من فضل الله تعالى على الإنسان أن جعله مظهرا لصفاته، ولذلك فقد غير مجرى المحاورة من الاستشهاد بصفات الله التي يمكن أن يتصف بها البشر، إلى أفعال الله التي لا يمكن أن يأتي بمثلها البشر، فكان أن بُهت الذي كفر.

ثم يقول المقال: **"والحق أنه بحسب الوجهة الإسلامية.. لا يمكن أن يحظى أحد بقرب الله ما لم يكن مظهرا لصفاته تعالى، وما لم يكن بينه وبين الله مشابهة ومشاركة من نوع ما، وما لم يصطبغ بصبغته. انظروا إلى الحشرات كيف أنها تتلون بلون الأشجار التي تقع عليها وتعيش فيها. انظروا إلى الفراشات كيف أنها تتخذ ألوان الأزهار التي تحوم حولها وتقف عليها. فهل نحن أضعف حولا من هذه الحشرات، وهل ربنا أقل شأنا –والعياذ بالله– من هذه الأشجار والأزهار؟ أهذه الحشرات والفراشات تتلون بلون الأغصان والأزهار.. ولكن عباد الله إذا اقتربوا من ربهم فإنهم لا يمكن أن يتلونوا بلونه ويصطبغوا بصبغته؟"**

ولعل هذا المقطع يثير في نفس "المتربصين بالجماعة الأحمدية" كما يصفهم الأخ ح.ق.، نوازع الاعتراض وتوجيه أصابع الاتهام والإدانة.. إذ سرعان ما يصرخون ويصخبون ويقولون: هذا هو الدليل على كُفر هؤلاء لأنهم يزعمون أنه من الممكن أن يشارك العبد ربه في صفاته الإلهية.

ولعل هؤلاء الذين يصرخون ويصخبون ويعترضون لا يدركون مدى جهلهم الفاضح، وضيق أفقهم المظلم، فهم يأخذون

من معاني كلمة "المشاركة" معنى واحد فقط، ويتجاهلون أو يجهلون أن لهذه الكلمة معان أخرى أوردها القرآن الكريم، ولكن أنّى لهؤلاء أن يفقهوا كلام الله العزيز وقد أعماهم التعصب المقيت، وملأ قلوبهم الحقد والكراهية البغيضة.

نعم.. إن من معاني المشاركة أن يمتلك المشارك جزءا مما يُشارك فيه، فإن كان مالا يكون لكل شريك جزء من هذا المال، كما يقول تعالى عن توزيع الإرث: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء: ١٣)، أي أن ثُلث التركة يوزع عليهم بالتساوي وينال كل منهم جزءا من هذا الثلث. وبهذا المعنى ينفي الله تعالى أن يكون له شريك في ملكه فقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ (الإسراء: ١١٢).

ولكن من معاني المشاركة كذلك اتفاق الغرض ووحدة الهدف، فمن الممكن أن نقول: أنا أشاركك حب الوطن، بمعنى أن حب الوطن هو الذي يربط بيننا، وكلانا يهدف إلى العمل لمصلحته، وغرضنا في هذا الأمر قد اتفق على حب الوطن والولاء له. وهنا لا يوجد تجزئة ولا مشاركة بالمعنى السابق، ومشاركتي لك في حب الوطن لا يُنقص من حبك للوطن شيئا ولا يزيده شيئا. وبهذا المعنى يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام مخاطبا قومه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونِ﴾ (يونس: ٧٢). ومن الواضح هنا أن كلمة ﴿شُرَكَآءَكُمْ﴾ لا يُقصد بها شركاء التجارة أو شركاء الإرث أو شركاء المال والعقار، بل أولئك الذين اتفقت أغراضهم وتوحدت أهدافهم للقضاء على سيدنا نوح ومحاربة دعوته.

ومن معاني المشاركة أيضا هو الاتصاف ببعض الصفات التي قد تتماثل مع صفات الطرف الآخر، فمثلا يمكن أن نقول أن الضفدع يشارك الفيل صفة الحياة والوجود، ولكن شتان ما بين صفات الضفدع وصفات الفيل، إذ أن حياة الضفدع ووجوده يختلفان تماما عن حياة الفيل ووجوده، ولا تتوقف حياة الضفدع أو وجوده على حياة الفيل ووجوده، فليس بينهما سوى نوع ما من المماثلة. وبهذا المعنى يقول تعالى عن أهل جهنم: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الصافات: ٣٤)، ومن الواضح أن الاشتراك في العذاب معناه التماثل، وليس معناه أنهم سوف يمتلكون العذاب كما يمتلكون المال والإرث.

بهذا المعنى الأخير وردت هذه الجملة في المقال: **"لا يمكن أن يحظى أحد بقرب الله ما لم يكن مظهرا لصفاته تعالى، وما لم يكن بينه وبين الله مشابهة ومشاركة من نوع ما"**. وقد سبقت كلمة "مشاركة" كلمة "مشابهة" تدليلا وتفسيرا على أن المقصود هنا من كلمة "مشاركة" هو المشابهة والمماثلة، بحيث أنك إذا استبدلت كلمة "مشاركة" بكلمة "مماثَلة" لا يتغير المعنى بتاتا، وهذا ما يتفق تماما مع الحديث الذي رواه البخاري: "خلق الله آدم على صورته"، أي أنه يشابهه ويماثله في صفاته.

وأخيرا.. يقول الأخ ح.ق. عن الحشرات والفراشات التي تتلون بلون الأشجار والزهور التي تقف عليها، أن هذا التلون الذي تقوم به تلك الحشرات "...ليس من ابتكارها ولا صنعها وإنما من صنع الله، وتلك الحشرات ما هي إلاّ مخلوقات فقط لا تملك سوى أن تستخدم أعضاءها كما اعتادت". ونحن نتفق تماما مع ما يقوله الأخ ح.ق. عن هذه الحشرات من حيث أنها تستخدم تلك المواهب التي أعطاها الله إياها لمساعدتها على إخفاء نفسها. وكذلك الإنسان الذي كرّمه الله تعالى وفضّله على كثيرٍ من خلقه وسخّر له كل ما في الأرض.. لا يمكن أن يكون أضعف شأنا من تلك الحشرات. فإن الله تعالى هو أيضا الذي وهبه الفطرة السليمة، ومنحه الاستعداد ليصطبغ بصبغة الله، فهو لم يكتسب ذلك بنفسه، وإنما الله هو الذي أعطاه القدرة على التخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته، غير أنه تعالى جعل له الخيار في هذا الأمر، وهذا هو الفارق بين الحشرات **"التي لا تملك سوى أن تستخدم أعضاءها"** وبين الإنسان الذي يستطيع أن يستخدم ما منحه الله تعالى من قدرات واستعدادات للتقرب إليه والتخلق بأخلاقه فيصل إلى أعلى عليين، أو يختار أن يُهمل تلك القدرات وينكرها، ولا يستفيد من تلك الاستعدادات التي منحه الله تعالى إياها فينقلب إلى أسفل سافلين.

وخلاصة القول.. إن الله تعالى خلق الإنسان وأراد له أن يكون عبدا له، بمعنى أن يتصف بصفاته ويتخلق بأخلاقه ويصطبغ بصبغته فيصير عبدا ربّانيا. ومن أجل هذا أرسل الله تعالى جميع الأنبياء. وأكملُ خلق الله تعالى الذي تجلت فيه صفات الله تعالى على أتم وأكمل وجه كان سيدنا محمد المصطفى ﷺ. وقد استقى الإمام المهدي عليه السلام من نور هذا المصطفى ﷺ وتخلق بأخلاقه، ولذلك فقد بعثه الله تعالى في هذا الزمن لنفس الغرض والهدف.. أي أن يجعل الناس ربانيين، يتخلّقون بأخلاقه سبحانه، ويتصفون بصفاته عز وعلا. وقد وصف رسول الله ﷺ الإمام المهدي بقوله: "خُلُقُه خُلُقي"، أي

أن خُلق الإمام المهدي يماثل خُلق سيدنا محمد المصطفى ﷺ الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٥)، ووصفته السيدة عائشة بأن خُلقه القرآن. فطوبى لمن تبعه بإخلاص القلب وروح الوداد، وأطاعه بعزيمة السعي وصدق الفؤاد، وجاهد للقرب من الله ووصاله، وكدّ للفوز بحب الله ونواله، وسعى للاتصاف بصفات الله، وذاق حلاوة التخلق بأخلاق الله، فنال بذلك حب الله، وفاز بقربه ووده ورضاه. اللهم أكرمنا واجعلنا من هؤلاء، واستجب لنا بفضلك وكرمك هذا الدعاء، يا محبوبنا يا ربنا.. يا ذا المجد والحُسن والآلاء.

ردود خاصة

* الصديق م. الروابده (الأردن) أبدى إعجابه بالمواضيع التى تُعالجها التقوى وأعرب عن استعداده للتعاون معنا في المستقبل.
- شكرا أيها الأخ الكريم على مشاعر الأخوة ونتطلع إلى تعاون مثمر إن شاء الله.

* طاهر معمر محمد (الجزائر) طلب المزيد من الكتب التى تُعرف بمعتقدات الجماعة.
- حُوّل طلبك إلى الجهات المختصة لتنظر فيه.

* الصديق محمد أرغال (المغرب) شكرنا على الخدمات التى نقوم بها للتعريف بالدين الإسلامي والطريقة السلمية التى ننشره بها، وأعرب عن استعداده لمساعدتنا في هذه المشاريع الروحانية الهائلة.
- جزاك الله على اهتمامك بخدمة الإسلام وإعلاء كلمة الحق. في الحقيقية يتعذر على المجلة أن تُلبي كل رغبات قراءها الكرام، وندعو الله أن يوفقكم ويجازيكم حسب لنيتكم الصادقة.

* الصديق الدكتور عبد المجيد حسن (لاغوس، نيجيريا) أرسل مقالة حول الفقه الإسلامي.
- يسعدنا أن ننشر لك عملك ولكن نود أن تُرسل لنا حلقات أخرى حول نفس الموضوع كي يتسنى لنا انتقاء أكبر عدد ممكن من المعلومات لنشرها على صفحات مجلتكم التقوى.

القُدس بلد السّلام

القدس الجديدة لها أهمية بالغة عند عامة الشعب اليهودي إلا أنها تحمل القداسة بسبب المسلمين أكثر من أي شعب آخر.
لقد رأى سيدنا محمد المصطفى ﷺ في الرؤيا أنه ارتفع إلى السماء من المسجد الأقصى (ويعتقد بعض المسلمين بأن هذا الصعود كان صعودًا جسمانيا). وسخر كفار قريش من الرسول ﷺ واتهموه باتهامات لا فائدة ولا جدوى من سردها.. ولكن رب العزة رد على اتهاماتهم وافتراءاتهم وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)
تبعد مدينة القدس حوالي ٨٠٠ ميل من مكة المكرمة، و٦٥٠ ميلاً من المدينة المنورة، وحوالي ٤٠ ميلاً من شاطئ البحر الأبيض المتوسط.
لقد تأثرت طباع، ثقافة وتقاليد سكان القدس بديانات ثلاثة: اليهودية، المسيحية والإسلام. فاليهود تمسكوا بالمدن والأماكن التى وقعت فيها أحداث هامة في وقت حضرة سليمان وداود عليهما السلام.. وتمسك المسيحيين بالأماكن التى عُذب فيها المسيح الناصري عليه السلام. أما المسلمين تمسكوا بالقدس بناء على معتقداتهم أن سيدنا محمد ﷺ قد أسرى الله به من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس..
وكلمة (القدس) تعني باللغة الهيروغليفية المصرية (أوروشامم)، وفي اللغة الآرية ب(أورشليم) وباللغة العبرية ب(بروشالايم) التى تعني بلد السلام، أو عثرت علي يد الله السلام. أما الآن فهي بلد الكروب والقتال والحصار الدائم الذى لا نهاية له.
من أقدم الأماكن في القدس الحرم الشريف (القدس القديمة) والحرمين، والصخرة والمسجد الأقصى وتحظى هذه الأماكن باحترام كبير لدى المسلمين. وبجوار المسجد الأقصى يقع جدار المبكى لليهود الذين يعتقدون أنه بقايا معبد سليمان. سمّي بحائط المبكى لأن الرومان أوقفوا حرمان دخول اليهود إلى المدينة وسمحوا لهم بالبكاء على حجارة الحائط.
وللمسيحيين هنالك عدة كنائس، والكنيسة المركزية هي كنيسة القبر المقدس وتقع بالبلدة القديمة (القدس القديمة) ومحاطة بعدة بوابات كمداخل إلى المدينة.
وقد أثبت علماء الآثار أنه من الصعب تحديد سبب واحد لقيام حضارة في القدس. فتبين

أن أقوام من العصر الحجري سكنوا هنالك وعبدوا الطبيعة. وهناك آثار أخرى للأقوام الجليلية من اليرموك. أما أوائل الشعوب هناك فهم الكنهانيون. وكنعان تعرف اليوم بأرض فلسطين.

عندما هاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام مع والده إلى أرض كنعان.. أرض الجبال والوديان، كان أول شخص مؤمن بتوحيد الله في تلك المنطقة. تُوفي والده بحران (بتركيا اليوم)، وبعد وفاته ترك سيدنا إبراهيم عليه السلام حران بأمر من الله ليعود إلى كنعان. وقد وعد الله أبناءه إسماعيل وإسحاق وذريتهم أن يتولّوا الأرض. وقد أثبت التاريخ هذا الوعد. فقد استقر إسماعيل بالعربة، وإسحاق بشمال كنعان،، أما يعقوب ابن إسحاق وقد سمّيَ بإسرائيل (أي الذى جاهد مع الله) فقد رُزق بإثنى عشر ابنًا، وقد عرفوا مع عائلاتهم باسم بني إسرائيل. أما أحّب أولاد يعقوب وهو يوسف فقد بِيْعَ في مصر، ولكن سرعان ما استطاع أن يحكم بعد ذلك مصر. وعندما حلّ القحط والمجاعة في أرض كنعان استدعى يوسف والده وإخوته ليحضروا مصر، وأعطاهم أرض هناك فاستقروا فيها. ولكن بعد وفاة يوسف عليه السلام أمر فرعون باستعباد اليهود.

وفي الفترات الأولى من تاريخ الإسلام اعتاد المسلمون الاتجاه إلى القدس في صلاتهم، ولكن بعد ذلك أمر الله المسلمين بالاتجاه نحو الكعبة المكرمة وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٥).

وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه عُرضت القدس مقرًا للخليفة وأن يتولى المدينة. وحضر حضرة عمر بن الخطاب من المدينة المنورة إلى القدس. وبنى مسجدا هنالك وعليه تلك القبة الفاخرة العظيمة والتي سميت باسم (القبة الصخرة) لأنها تشير إلى النقطة التي صعد منها النبي محمد ﷺ إلى السماء في الرؤيا. وقد بنيت القبّة الصخرة على يد معماري بيزنطي في القرن السابع. ويُطلعنا التاريخ أن اليهود أُجبروا على التشتُّت في كل أنحاء العالم في عهد الرومان، وبعد ذلك علي يد المسيحيين. وقد قامت إنجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال على طرد اليهود من بلدانهم وسنوا قوانين لدعم أعمالهم هذه. وقد أجبر اليهود على الإقامة في مناطق محددة. ولم يتمتعوا بالحقوق المدنية بل أجبروا على اعتناق المسيحية.. وفي هذه الظروف كان اليهود المتعصبين في القدس يعيشون في أمن وسلام ولم يُجبروا في الاشتراك في أي حرب. وبعد الغزوات الصليبية على القدس نُزعت الحماية عن اليهود، وفُرضت عليهم الضرائب. ولكن هذا الاحتلال الصليبي كان لمدة قصيرة فقط حتى عهد التارتان. وفي عام ١٥١٧م تولى العثمانيون الأتراك الحكم وسمحوا لليهود بالعبادة على حائط المبكى بالرغم من أن الصلاة على الحائط كانت وقتها فقط عند الشعور بالموت. وبقي الشعب اليهودي في أوروبا يعاني بشدة من التمييز العنصري والديني الأوروبي.. وفي هذه الظروف الصعبة تولد في اليهود أفكار الهجرة إلى بلدان تُرحب بهم مثل شمال إفريقيا ولكنهم أصروا على العودة إلى القدس. وفي عام ١٩١٧م عقد الإنجليز "وعد بلفور" الذى نتجت عنه خلافات كثيرة بين اليهود والعرب في فلسطين، وهُزم الأتراك على يد الإنجليز. وفي الفترة ما بين عام ١٩٠٤ وبداية الحرب العالمية الأولى هاجر خمسون ألف يهودي من أوروبا إلى فلسطين حتى يكون لليهود أغلبية السكان في المنطقة. إلا أنهم لم يكونوا من المرغوبين فيهم من قبل السكان الأصليين للمنطقة من يهود وعرب الذين ظنوا أن اليهود القادمين من أوروبا ليس فيهم الاحترام للدين ومبادئه.

فالسؤال: ما هو مستقبل القدس؟

جاء في القرآن الكريم عن الأرض المقدسة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦)

ففلسطين هي الأرض الموعودة للذين وفوا بعودهم مع الله عز وجل كما فعل إبراهيم عليه السلام. وبما أن القدس فيها تجمع لأعظم الديانات فمن الممكن العيش فيها في سلام وأمان ومن الممكن أن تصبح مرة أخرى بلد السلام.. وما ذلك على الله بعزيز. (*)

(*) عن مقالة بالإنجليزية لمنصور أحمد شاه

مساهمة الصديقة: ندى بجوى
(سويسرا)

إنـــترنـــتيـــات

عيد الإنترنت

مقتطفات من الشبكة العالمية

إنـــترنـــتيـــات

في الأسبوع الماضي قام بزيارتي أحد الأصدقاء في المكتب وحينها كنت مشغولا في إرسال رسالة إلكترونية عاجلة وحينما دخل عليّ بادرني بالسلام ومن ثم قال لي: كل وقتك تمضيه مع هذا الجهاز في لعب (الأتارى) ألا يوجد لديك عمل تأديه؟ وهذا الصديق يعمل مدرسا في أحد المدارس الحكومية حينها لم أتمالك نفسي من الضحك ولكن بطريقة جعلته لا يحس بذلك. لقد تعجبت لعدم معرفة هذا الصديق (المدرس) لشيء اسمه الكمبيوتر الشخصي وأن هذا الجهاز يؤدى تقريبا ٩٠ ٪ من الأعمال المكتبية وإننا الآن في عالم الثورة الرقمية وعصر الإنترنيت.

لقد ذكرتني هذه الحادثة الطريفة مع أحينا المدرس بالزيارة التي قام بها الرئيس الأمريكي كلينتون مع نائبه آل جور إلى كاليفورنيا للمشاركة في حفل ربط المدارس الحكومية بشبكة الانترنيت مع تعهد الرئيس خلال الحفل بربط جميع طلبة المدارس الحكومية مع بعضهم البعض من خلال الشبكة بحلول سنة ٢٠٠٠ بغض النظر عن من سيكون في البيت الأبيض في ذلك الوقت. مع التحول الأكيد للعولمة من خلال الانترنيت فإن مدارسنا سيكون لها دور فعال في عملية التحول هذه في المستقبل. وإن مدرسينا سيكون لهم دورهم الفعال في عملية قيادة الجيل الجديد نحو العصر الرقمي أو عصر الثورة الفضائية وعصر الإنترنيت.

إن عصر المعلومات يتطلب منا تطوير عملية التعليم وأنظمتها بصورة سريعة وجادة، إننا لسنا في زمن يتطلب منا تعليم أبنائنا كيفية استعمال جهاز الكمبيوتر فقط، ولكنها عملية تعليمهم كيفية القدرة على الإبداع والتعاون والمشاركة. وإن عملية القيادة هذه تتطلب وجود مدرسين ومربيين قادرين على استيعاب أسس ومبادئ هذا العلم حتى يكون في إمكانهم القدرة على العطاء وقيادة أجيال المستقبل نحو عصر المعلومات بسهولة ويسر. إن العملية تتطلب منا تأهيل المدرس تأهيلا جيدا من الآن حتى نجده مخلصا في هذه العملية التحويلية وإن الطريقة الاعتيادية في التعليم لن تجد لها مكانا في السنوات القادمة.

إن ربط مدارسنا بشبكة الإنترنيت تعنى أشياء كثيرة منها أنه سيكون بمقدور الطالب وهو جالس بالفصل التحول في أحد متاحف دول العالم، سوف يمكنه العيش في زمن أنشتاين من خلال زيارته لصفحة هذا العالم ورؤيته بعض الصور المتعلقة به وسيراته الذاتية، سيمكنهم التحول والسفر إلى الكوكب الفضائي وزيارة بعض الكواكب سيمكنهم من زيارة مكتبة الكونجرس والتحول في أروقتها الشاسعة والبحث عن أي مؤلف أو كتاب أو موسوعة علمية، سيتمكنون من مناقشة زملائهم أو طلبة المدارس ومبادلتهم المعلومات والأخبار مع جميع أنحاء العالم.

ستكون العملية التعليمية الجديدة أكثر حيوية وملائمة وفورية، ستكون حية مدعمة بالصوت والصورة وستكون الصورة متحركة ومبهجة ومنعشة للطالب. وستصبح العملية التقليدية في التدريس في طي النسيان. وكمثال بسيط على ذلك في عملية تعليم وظائف القلب كل ما هنالك يقوم المدرس بشرح الوظائف وعمليتها من خلال ملصق أو صورة حائطية بالطريقة التقليدية ولكن من خلال الشبكة سيتمكن الطالب من رؤية القلب بالأبعاد الثلاثية بالصورة الحية سيسمع نبضات القلب ودقاتها وعملية دفع الدم وضخة بمجرد لمسة بسيطة من إصبعه.

إن الأخصائيين التعليميين في جميع أنحاء العالم يعملون على قدم وساق على تطوير وتقديم آلاف البرامج التعليمية من الآن لتكون جاهزة على الشبكة. وأكثرهم قد قام بالفعل بتطوير هذه الأشياء وتوجد بعض منها على الشبكة في الوقت الحاضر. إن حكومات العالم والمعاهد والمختبرات قد بدأوا بالفعل في الاستعداد للثورة الرقمية من الآن وكلهم شغف في انتظار جيل الطلبة القادمين بقيادة إداريي المدارس والمدرسين. إنه حقا لشيء مثير أن نرى مدارسنا وقد دعيت لتحويل طريقة حياتنا في القرن المقبل.

وسيولد جيل جديد يمكنه معرفة ما يحدث في الطرف الآخر من العالم في نفس الوقت كأنهم يعيشون اللحظة وهم في مجتمعهم بدون أن يغادروه. وإذا كنا منبهرين الآن بما يقدم على الشبكة سنكون متأثرين أكثر من خلال ما سيقدمه الجيل الجديد من إبداعات. وأخيرا رجائي إلى صديقي (المدرس) أن لا يأخذ (بخاطره).

عبد الرحمن بوجيري

(جريدة الأيام بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٩٧).

شروط البيعة للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

تُعد البيعة لدى الجماعة الإسلامية الأحمدية رابطة عقيدة متينة تربط العبد بربه بعقد لا فصام فيه وهي ليست ورقة انتساب كما تفعل الجماعات الأصولية الحركية التي تتشبه بالأحزاب المعاصرة. وعليه فإن انسحاب المسلم الأحمدي من هذه الجماعة يُعد ارتدادًا وتخليًا عن عقيدته الإيمانية التي بايع الله عليها.

فالأحمدية أسست على مبايعة إمام روحي، انتظرت الأمة الإسلامية بعثته منذ فجر التاريخ الإسلامي وعليه فإن ظهور هذا الإمام المجدد يُعد جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، وخاصة إذا تذكرنا حديث رسول الله ﷺ «فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي» (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن).

والجماعة الإسلامية الأحمدية هي جماعة روحية تفرق بين السياسة الدينية والسياسة المعاصرة وهي لا تهدف إلى إقامة دولة ما، فنحن نرى أن الدين الإسلامي هو عبارة عن أفكار وعقائد تقوم على أسس عقلية وعلمية من الحجج والبراهين، وتشكل دعوة إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. ونحن نأخذ القدوة الحسنة من محمد ﷺ الذي لم يسع يومًا إلى تأسيس دولة من نفسه، بل إن الحكم هو الذي سعى إليه.

فالبيعة في مضمونها هي عهد تركيز مع العمل والاصلاح للنفس وإن شروطها العشرة تدور جميعها حول ضرورة التزام الفرد بالعمل مع هذه الشروط تقويمًا لسلوكه اليومي تقويمًا حقيقيًا. فلا تقبل البيعة من الإنسان الذي لم يحاول التجرد من انحرافاته الفكرية والعقائدية والسلوكية. لأن البيعة تعني تجديد الإيمان بصدق الدين الإسلامي وصدق نبوة محمد المصطفى خاتم النبيين ﷺ وعلى أساس الشروط التي تضمنتها هذه البيعة. وهكذا يصبح المبايع لبنة صلبة لبناء الوحدة الإسلامية الشاملة ذات الصبغة الواحدة وهو ما يسعى إليه المسلمون المعاصرون ولا يجدونه.

يتعهد كل مبايع من صميم فؤاده:

١ . أن يتجنب الشرك حتى الممات.

٢ . أن لا يقرب الزنى، ويتجنب قول الزور، وخيانة الأعين، ويحترز من جميع أنواع الفسق والفجور والظلم والخيانة، ويتنكّبُ عن طريق البغي والفساد، ولا يدع الثوائر النفسانية تتغلب عليه مهما كان الداعي إليها قويا وهاما.

٣ . أن يواظب على الصلوات الخمس بالإلتزام.. تبعا لأوامر الله تعالى وتعاليم رسوله الكريم ﷺ ويداوم جهد المستطاع على إقامة صلاة التهجد، والصلاة على النبي ﷺ، وطلب العفو من ربه على ذنوبه والاستغفار، ويذكر كل يوم نعم الله ومِنَنه بخلوص قلبه، ثم يشكره عليها، ويتخذ من حمده والثناء عليه وِرْداً له.

٤ . أن لا يؤذي أحداً من خلق الله عموما، والمسلمين خصوصا، بثوائره النفسية.. لا بيده ولا بلسانه ولا بطريق آخر.

٥ . أن يكون مخلصا لله تعالى وراضياً بقضائه في جميع الأحوال: حالة الترح والفرح والعسر واليسر والضنك والنعم، ويكون مستعداً لقبول كل ذلة وهوان، وتحمل كل مشقة وعناء في سبيله، ولا يعرض عنه عند حلول مصيبة أو نزول بلية بل يمشي إليه قُدُما.

٦ . أن ينتهي عن اتباع الرسوم والعادات والأهواء والأماني الكاذبة، ويقبّل حكومة القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذ قول الله تعالى وقول الرسول ﷺ دستوراً لعمله في جميع مناهج حياته.

٧ . أن يطلّق الكبر والزهو طلاقا باتا، ويقضي أيام حياته بالتواضع والخضوع، ويقابل الناس بالبِشر، ويعاملهم بالحلم والخلق الحسن.

٨ . أن يكون الدين وعزُّه ومواساةُ الإسلام أعزَّ عنده من نفسه وماله وأولاده.. ومن كل ما هو عزيز لديه.

٩ . أن يواسي جميع خلق الله تعالى ويعطف عليهم ابتغاء لمرضاته، وينفق بقدر الإمكان كل ما رزقه الله من القوة والنعم في خير أبناء جنسه ونفعهم.

١٠. أن يعقد مع هذا العبد (الإمام المهدي والمسيح الموعود) عهدَ الأخُوّة خالصا لوجه الله تعالى، على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلها العلاقات الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابة أو صداقة أو عمل.

(شروط البيعة العشرة المذكورة أعلاه معربة من كلام سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ، كتاب: إعلان تكميل التبليغ في ١٢- ١- ١٨٨٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

وثيقة البيعة

حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.. أيده الله بنصره العزيز

أتشرف أنا .....

بإحاطتكم علما بأنى قد اطلعت على عقائد الجماعة الإسلامية الأحمدية وشروط الانضمام إليها، فشرح الله صدري وحبب إليَّ الانضمام إلى هذه الجماعة المباركة، وأرجو منكم قبول مبايعتي هذه.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أبايع اليوم إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.. حضرة مرزا طاهر أحمد.. الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وأنضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، وأتوب إلى الله من جميع ذنوبي السابقه، وسوف أسعى جهد طاقتي لاجتناب الذنوب والمعاصي كلها، ولن أشرك بربي أحدا، ولن أتبع الأهواء النفسانية. لن أغتاب ولن أوذي أحدا من خلق الله، وسوف أوثر الدين على الدنيا، وأجتهد في العمل بجميع أحكام الإسلام، وسأسعى جاهدا لسماع وتعلُّم وتعليم القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة وكتب سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود، وسوف أطيعكم في كل ما تأمرونني به من المعروف.

كما أؤمن بأن سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين، وأصدق بكل ما ادّعى به الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه
أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ وأتوب إليه
أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ وأتوب إليه

ربِّ إني ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

أنا الموقع على هذا ..... بتاريخ: .....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تاريخ الولادة ومكانها : ..... المهنة: .....
العنوان: .....
.....
.....

تُرسل جميع البيعات إلى العنوان التالي:

The Editor Al Taqwa P.O. Box 12926
London SW18 4ZN (United Kingdom)

«سأبلغ دعوتك إلى أقاصي الأرض» (إلهام لسيدنا الإمام المهدي)

القناة الفضائية الإسلامية الأحمدية

بث يومي متواصل لأربع وعشرين ساعة إلى جميع أنحاء العالم

تهدف هذه القناة إلى إحياء الدين الإسلامي من خلال إحياء المفاهيم الإسلامية الحقيقية التي كانت سائدة في عصر الرسول الكريم سيدنا محمد المصطفى ﷺ.

وتتخذ القناة سبيل طاعة الله واتباع سنة رسوله ﷺ منهاجا لها وكلها أمل أن تجمع كلمة المسلمين على يد إمام واحد أقامه الله لنشر الإسلام الصحيح وبيان جماله وكماله.

طريقة استقبال برامج القناة :١ . يرجى توجيه صحن الاستقبال (Satellite Dish)

٢. تعديل أجهزة استقبالكم (Satellite receiver) حسب المعطيات التقنية التالية:

في أوروبا	
SATELLITE	INTELSAT 603 IS- 603 at 325.5 ° E
DECODER	K Band
POSITION	325.5 °. EAST 34.5 ° WEST
POLARITY	Vertical
DISH SIZE	80cm to 100 cm
VIDEO FREQUENCY	11010 MHz
AUDIO FREQUENCY	6.50 MHz

في الشرق الأوسط، آسيا وإفريقيا والمشرق الأقصى	
SATELLITE	INTELSAT 703 IS- 703 AT 57 ° E
DECODER	C Band
POSITION	57 ° EAST
POLARITY	Left Hand Circular
DISH SIZE	3.5 m to 4.5 m
VIDEO FREQUENCY	4177.5 Mhz
AUDIO FREQUENCY	6.50 Mhz

❁ نلفت عناية المشاهدين إلى أن خطبة الجمعة وبرامج مختلفة تُترجم إلى لغات متعددة، وحتى يتسنى التقاط هذه التراجم يمكنكم تعديل الموجات الصوتية (Audio Frequency) في جهاز الاستقبال حسب الجدول التالي:

العربية	7.20 MHz
الأردية أو الإنجليزية	7.02 MHz
البنغالية	7.38MHz
الفرنسية	7.56 MHz
الألمانية	7.74 MHz
الأندونيسية	7.92 MHz

❁ الرجاء من الإخوة المشاهدين في الحدود الشمالية للمغرب العربي الكبير ومصر تعديل أجهزة وصحون استقبالهم أولا حسب مقاييس أوروبا، وإذا لم يتمكنوا من التقاط محطتنا فعليهم أن يعدلوها حسب معطيات الشرق الأوسط، آسيا وأفريقيا والمشرق البعيد.

❁ تبث القناة يوميا برنامج **لقاء مع العرب**.. مجلس ديني علمي ثقافي يجيب فيه إمام الجماعة الإسلامة الأحمدية باللغة الإنجليزية على أسئلة الإخوة العرب وتُقدم الترجمة العربية لما يقوله حضرته مباشرة بعد انتهائه من الإجابة.تُبث حلقة من هذا البرنامج ثلاث مرات في اليوم الواحد وذلك حسب **توقيت لندن**: ١ صباحا، ٩ صباحا و١٦ بعد الظهر.

لأسباب خارجة عن نطاقنا يمكن أن يتأخر أو يتقدم بث هذا البرنامج لعشر دقائق.

ترحب أسرة الفضائية الإسلامية الأحمدية بأسئلتكم واستفساراتكم وستسعى إن شاء الله للرد عليها عبر برنامج لقاء مع العرب أو بالبريد العادي.

***MTA International*, P.O. Box 12926 , London SW18 4ZN**

Tel: 44 - 181 870 0922 **Fax: 44 - 181 875 0249**

Objection Against
Al Taqwa P. 30

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

AL TAQWA

THE FIRST ISLAMIC SATELLITE CHANNEL

أول محطة فضائية إسلامية

BROADCASTING DAILY AROUND THE CLOCK

٢٤ ساعة بث يومي متواصل إلى جميع أنحاء العالم

جميع المعلومات تجدها داخل العدد

AL - TAQWA Volume 10, Issue 4, August 1997